الفصل الثالث
التناوب

التناوب هو إحلال كلمة – قد تكون اسمًا أو فعلًا أو حرفًا – محل غيرها مما ينظرها، فتؤدي معناها، وتنوب عنها في السياق.

والتناوب في اللغة فيه معنى التبادل وتقسيم الأمر الواحد وتوزيعه، وفيه – أيضًا – معنى الإحلال" أي إحلال شيء محل شيء آخر" يقال للقوم في السَّفَر: يَتَنَاوبُونَ، ويَتَنَازلُونَ، ويَتَطَاعمُونَ، أي يأكلون عند هذا نُزْلَةً وعند هذا نُزْلَةً، والنزلةُ: الطعامُ يصنعُهُ لهم حتى يشبعوا، يُقال: كانَ اليومَ على فلان نُزْلَتُنَا، وأكلْنَا عند نُزْلَتِنَا، وكذلك النَّوْبَة، والتناوبُ على كلِّ واحدٍ منهُمْ نوبةٌ ينوبُهَا أي طعام يوم[1]".

وجاء – أيضًا– في اللسان: "تَنَاوَبَ القومُ الماء: تقاسمُوهُ على المَقْلَةِ، وهي حَصَاةُ القَسْمِ[2]" وقيل –أيضًا– "تناوبنا الخطبَ والأمرَ، نتناوبُهُ إذا قمنا به نَوْبةً بعد نَوْبة... وهم يتناوبونَ النَّوْبَةَ فيما بينهم في الماء وغيره وناب الشيء عن الشيء ينُوبُ: قام مقامه[3]".

وقيمة التناوب أنه لا يُثْبِتُ المعنى الكامن في الكلمة الواردة في السياق فحسب، بل تتم في ذات الوقت عملية استحضار للكلمة المنوب عنها، وما يَنْجَرُّ عنها من معانٍ، فَتَحْدُثُ عمليةُ مزاوجة بين الكلمتين المنوب عنها والنائبة. ومن ثَمَّ تزاوُجُ المعنيين، مما يؤدي في النهاية إلى إثراء المعنى، إذن فالتناوب لا يلغي معنى بمعنى آخر، بل يُثْبِتُ معنيين في آن واحد.

وقد انقسم البحث في التناوب عند البارودي إلى أربعة أقسام:

أولا: التناوب في الأفعال.

ثانيا: التناوب في الأسماء.

ثالثًا: التناوب في المصادر.

رابعا: التناوب في الحروف.

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة نوب. ص ٤٥٦٩.

(٢) المرجع السابق، مادة نوب. ص ٤٥٦٩.

(٣) المرجع السابق، مادة نوب. ص ٤٥٦٩.

وقد اعتمد البحث في ظواهر التناوب عند تأصيل معاني الأفعال أو الأسماء أو المصادر ودلالاتها على معجم لسان العرب ط. دار المعارف بتحقيق: عبد الله الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي.

ومما يجدر ذكره أن البحث في التناوب قد أفاد إفادةً كبيرة من شرح الديوان وتعليقات شارحيه على القصائد، خاصة الجزأين الثالث والرابع، فكانت الشروح -في كثير من الأحيان- مفتاحًا للبحث في ظواهر التناوب.

أولا: التناوب في الأفعال.

وتَرِدُ هذه الظاهرة في سبعة وأربعين موضعا تتوزَّع على ست صور كما يلي:

*** الصورة الأولى:**

أفعال تتعدَّى في الأصل اللغوي بنفسها، وتتعدى في السياق بحرف جر:

ويمثل هذه الصورة عشرةُ مواضع:

(١) لَقَــدْ أَوْدَعَ البَــيْنُ المُشِــتُّ بِمُهْجَتِــي نُــدُوبًا، كَــأُثْرِ الوَشْــمِ مِــنْ كَــفِّ وَاشِــمِ[١]

فقد تعدى الفعل: "أَوْدَعَ" -بالباء- إلى مفعولين، على الرغم من أنه يتعدى في الأصل بنفسه، وبذا ناب عن فعل آخر يتعدى بالباء مثل "تَرَكَ".

وبين الفعلين "أودع" و "ترك" -هنا- علاقة وارتباط، فـ "قَوْلُهُم"، دَعْ هذا... أي اترُكْهُ وَوَدَعَهُ يَدَعُهُ: تَرَكَهُ ...[٢]".

وقيمة الفعل "أَوْدَعَ"، -هنا- أنه يجعل هذه الندوب وديعة عنده، فامتزج معنيان: معنى الوديعة ومعنى التَرْك.

(٢) ألاَ إنَّ أخْــلاَقَ الرَّجَــالِ وَإنْ نَمَــتْ فَارْبَعــةٌ مِنْهَــا تَفُــوقُ عَــلَى الكُــلِّ[٣]

فالفعل "فَاقَ" بعد تعديته بحرف الجر "على" صار نائبًا عن فعل آخر يتعدى بهذا الحرف مثل "طَغَى".

---

(١) البين: الفراق. والمشت: المفرِّق. والمهجة: القلب، أو النفس. والندوب: آثار الجروح. والأُثر: أثر الجرح ومعنى كأُثر الوشم من كف واشم: أي: كأثر الوشم ترسمه يد الواشم في جلد المسترشم. الديوان: ٣/٢٨٥.

(٢) لسان العرب: ودع. ص ٤٧٩٧.

(٣) يقال: فاق الرجل أصحابه، أي: صار خيرًا منهم، أو علاهم بالشرف. الديوان: ٣/ ٢١٥.

وثمة رابطة معنوية بين الفعلين: "فاق" و "طغى"، ففي اللسان: "فاق الشيء فَوْقًا وفواقًا: عَلاه، وفاق الرَّجُلُ صاحبَهُ: عَلاهُ وغَلَبَهُ وفَضَلَهُ[1]". أما "طغى" فإنه يتعدى بحرف الجر "على"، ولعل هذا هو الدافع إلى إحلال "تفوق على "محل "تطغى على". وتدلنا قواعد معاني الحروف في النحو العربي على أن من معاني حرف الجر "على" في السياق إفادته الاستعلاء المعنوي، وقد اتضحت أوجه هذا الاستعلاء في الموضع التالي:

وَقَارٌ بلاَ كِبْر، وَصفْحٌ بلاَ أذًى وجُودٌ بلاَ مَنٍّ، وحِلْمٌ بلاَ ذُلِّ[2]

إذا فاقت هذه الخصال الأربع ما عداها من خصال وطغت عليها.

(٣) فَمَا يَمُرُّ خَيَالُ الغَدْرِ في خَلَدى ولاَ تَلُوحُ سِماتُ الشَّرِّ في خَالِي[3]

فقد تعدى الفعل "يمر" بـ "في" وهو يتعدى في الأصل بنفسه، كما قد يتعدى بالباء وبعلى، إذ يقال "مَرَّ عليه وبه يَمُر مَرًّا أي اجتاز ... ومَرُ يَمُر مَرًّا ومُرورًا: جَاء وذَهَبَ[4]".

وهذا الفعل "يجوز أن يكون مما يتعدى بحرف وغير حرف[5]"، وهو في السياق الشعري السابق يكون بمعنى فعل آخر يتعدى بـ "في" مثل "يَرِدُ"، ويكون المعنى على هذا أن خيال الغدر لا يَرِدُ في خَلَدِهِ ولا يمر به، يريد أنه لا يعرف من الغدر قليله أو كثيره.

(٤) تَأمَّلْ إلى الدُّنْيَا بِعَيْنٍ بَصِيرة لَعَلَكَ تَرْضَى بالقَلِيلِ مِنَ القَسْمِ[6]

وفيه تعدى الفعل "تأمل" بـ "إلى"، وهو في الأصل يتعدى بنفسه أو بـ "في"، فصار نائبًا عن فعل آخر يتعدى بـ "إلى" ويناظره في المعنى مثل "انظر".

وبين الفعلين -النائب والمنوب عنه- ارتباط معنوي، إذ يقال "تأملت الشيء" أي نظرت إليه مستثبتًا له. وتأمل الرجل: تثبَّتَ في الأمر والنظر[7]".

---

(١) لسان العرب: فوق. ص ٣٤٨٧.

(٢) الوقار: الرزانة. والكبر: العظمة الممقوتة. والجود: البذل والعطاء. والمن: التفاخر بالإنفاق. والحلم: الأناة - الديوان: ٣/ ٢١٥.

(٣) الخَلَد: البال والقلب. وتلوح: تبدو. والخال: الظن. الديوان: ٣/٩٩.

(٤) لسان العرب: مدد. ص ٤١٧٤.

(٥) السابق: مدد. ص ٤١٧٤.

(٦) براد بالعين البصيرة هنا: قوة الإدراك وصحة التقدير. والقَسْم: العطاء، أي ما يُعطى. الديوان: ٣/٤٥١.

(٧) لسان العرب: أمل. ص١٣٢.

وهو يريد أن يقول: انظر إلى الدنيا وتأملها، كأن المعنيين: النظر والتأمل، قد حضرا في السياق.

(٥) فَقُــم عاطِنِيهَــا قبــل أن يَحْكُــمَ النُّهَــى عَــلَيَّ، وَيَسْــتَهْوي الزَّمــانُ عَــلَى زهْــوِي[١]

حيث ورد الفعل "يستهوي" -وهو في الأصل يتعدى بنفسه- متعديًا بـ "على" إذْ يقال: "استهوته الشياطين: ذهبت بهواه وعقله...[٢]". ويقال: "استهوته الشياطين، هوت به وأذهبته[٣]".

فالفعل "يستهوي" ناب عن فعل آخر يناظره ويتعدى بـ "على" مثل "يقضي". والمعنيان اللذان حضرا .. قبل أن يقضي الزمان على شبابي فيذهب به.

(٦) فَكَــأنَّمَا افْتَرَسَــتْ بطَــائر حِلْمِــهِ مَشْــمُولَةٌ، أوْسَــاغَ سُــمّ الأسْــودِ[٤]

وفيه تعدى الفعل "افترس" بالباء، وهو في الأصل يتعدى بنفسه[٥]، فناب عن فعل آخر يتعدى بهذا الحرف مثل "هَوَى بـ" أو "فتَكَ بـ".

والمعنى الأول على الاستعارة: فكأن الخمر قد افترست طائر حلمه. والمعنى الآخر: كأن الخمر قد هوت بعقله وأذهبته.

(٧) تَمَــلَّ بِالمُلْــكِ يَــا عَبَّــاسُ، وابْــقَ لَنَــا فِي نِعمَــةٍ لَمْ يُخَــالِطْ صَــفْوَهَا كَــدَرُ[٦]

حيث ناب فعل الأمر "تملَّ" عن فعل آخر يناظره ويتعدى بالباء مثل "تمتع". وبين الفعلين رابطة قوية، ففي اللسان "تملَّي إخوانه": مُتِّعَ بهم، يقال: مَلَّاكَ اللهُ حبيبك: أي مَتعك به وأعَاشَكَ معه طويلًا .. وتمليتُ عمري: استمتعتُ بهِ[٧]".

---

(١) عاطنيها: أعطنى الخمر. والنُّهَى: العقل. وقبل أن يحكم النهى عليَّ، أي: قبل أن ينهاني عن اللهو والشراب. والزهو: الكبر والفخر. ويريد بالزهو: الصبا والشباب. الديوان: ٤/ ٢٠٧.

(٢) لسان العرب: هوى. ص ٤٧٢٨.

(٣) السابق: هوى. ص ٤٧٢٨.

(٤) المشمولة: الخمر الباردة. وساغ: شرب. والأسود: العظيم من الحيات. الديوان: ١/ ١٩٧.

(٥) لسان العرب: فرس. ص ٣٣٨٠.

(٦) تمل: أمر من (تملَّى عمره): أي طال استمتاعه به. الديوان: ٢/ ٥١.

(٧) لسان العرب: ملأ. ص ٤٢٧٢.

(٨) أُعَـــاشِرهُم رَغْـــمًا، وَودِّي لَـــو انَّ لي بِهِـــمْ نَعَـــمًا أدْعُـــو بـــهِ فَيُسَـــارِعُ[١]

فالفعل "أدعو" يتعدى بنفسه فيقال "دعوت فلانًا" أي صحت به واستدعيته..[٢]" فيكون الفعل "أدعو" في السياق السابق - نائبًا عن الفعل "أصيح" الذي يمكن أن يتعدى بالباء.

(٩) لأيِّ خَلِيـــلٍ في الزَّمَـــانِ أرافِـــقُ وأَكْثَـــرُ مَـــنْ لاقَيْـــتُ خـــبٌّ مُنَـــافِقُ؟[٣]

إذا ناب الفعل "أرافق" عن نظير له يتعدى باللام مثل "أحن" أو "أميل" .. والرفيق هو الصاحب في السفر[٤].

والمعنيان: مَنْ هو الصديق الذي أرافقه؟ ... وأحن إلى مَنْ في هذا الزمان؟.

(١٠) وَاصْـــــطَحِبْ بِمَـــــنْ يَبْعَـــــثُ المَـــــرَحْ[٥]

حيث تعدى فعل الأمر "اصطحب" بالباء، فناب عن مثيل له يتعدى بذات الحرف مثل "اقترن". والفعلان بينهما صلة وثيقة، إذ يقال: اصطحب الرجلان، وتصاحبا، واصطحب: القوم صحب بعضهم بعضًا[٦].

أي اصطحب بمن يبعث المرح واقترن به.

ونلاحظ في المواضع العشرة السابقة ارتباطًا قويًا بين الفعل الوارد في السياق والآخر المنوب عنه، إلى الحد الذي يكون فيه معنى الفعل المذكور -في بعض الحالات- مرادفًا في الاستعمال لمعنى الفعل المراد.

والدلالة الفنية في عملية استبدال فعل بآخر في هذه الصورة تكمن في الرغبة في توسيع المعنى. بحيث يتبادر إلى ذهن المتلقى معنيان بدلًا من معنى واحد، فينصرف العقل إلى كلا المعنيين معا، مما يؤدي - في النهاية - إلى إثراء معنى البيت.

---

(١) أعاشرهم رغماً: أي أخالطهم على كره مني. وبهم: أي: بدلهم. والنَّعَم: الإبل ونحوها. وأدعو به. أناديه: الديوان: ٢/ ٢٢١.

(٢) لسان العرب، دعا. ص ١٣٨٦.

(٣) الخليل: الصديق. والخب (بفتح الخاء وكسرها) الخداع. الديوان: ٢/ ٣٣١.

(٤) لسان العرب: رفق. ص ١٦٩٥.

(٥) المرح: شدة الفرح. الديوان ١/ ١٧٠.

(٦) لسان العرب: صحب. ص ٢٤٠١.

*** الصورة الثانية:**

أفعال هي في الأصل اللغوي لازمة، ولكنها وردت في السياق متعدية.

وقد جاء على هذه الصورة موضعان، الأول قوله:

(١) تَأَلَّمْتُ فُقْدَانَ الأَحِبَّةِ جَازِعًا ومَنْ شَفَّهُ فَقْدُ الحَبِيب تَألَّمَا[١]

فالفعل "تألم" لازم غير متعد، وقد تعدى -في السياق- إلى مفعول به، فصار نائبًا عن نظير له مثل "تحمل". وفي اللسان: تألم فلان من فلان: إذا تَشَكَّى وتوجَّعَ منه[٢]. والتشكي والتوجع لا يحدثان إلا بعد تحمل، فثمة علاقة بين الفعلين تألم وتحمل.

والمعنيان الواردان: لقد تحملت فقدان الأحبة ... وتألمت منه.

أما الموضع الثاني فهو قوله:

(٢) تَجَافَى النَّومَ في طَلَب المَعَالي وَطَابَ لِعَيْنِهِ فِيهَا السُّهَادُ[٣]

إذ تعدَّى الفعل "تجافي" إلى مفعول به، وهو في الأصل لازم، ففي اللسان: "جَفَا جَنْبُهُ عن الفِراش وتَجَافَى: نبا عنه ولم يطمئنَّ عليه، وجافيتُ جنبي عن الفراش فتَجَافَى[٤]". والفعل بعد تعديته نابَ عن مثيل له يتعدى إلى مفعول به مثل "هَجَرَ" وبين الفعلين ارتباط في المعنى.

والمعنيان: لقد ترك النوم .. بل هجره، فالمعنى الثاني "الهَجْر" أقوى -من حيث الدلالة- من المعنى الأول.

وتبدو العلاقة واضحة في هذين الموضعين بين الفعلين المذكورين في السياق الشعري والآخرين المنوب عنهما.

*** الصورة الثالثة:**

أفعال تتعدى في الأصل اللغوي بحرف جر معين، وتتعدى في السياق بغيره وتأتي هذه الصورة في ثلاثة عشر موضعًا:

---

(١) جازعاً: اسم فاعل من (جَزِعَ)، أي: لم يصبر عل ما نزل به. وشَفَّه الحزن: أضناه وأضعفه. الديوان: ٣/ ٤٠٥.

(٢) لسان العرب: ألم. ص ١١٣.

(٣) المعالي: الرفعة والشرف، والمفرد: المَعْلاة. والسهاد: الأرق والسهر. الديوان: ١/ ٢٨٤.

(٤) لسان العرب: جفا. ص ٦٤٦.

(١) مُتَشَـابهُ الطـرفين يُنْبِـيء صَـدْرُهُ عَـمَّا تَلاَحَـقَ، فهـو بَـادَي المَعْلَـم[١]

فالفعل ينبيء يتعدى بالباء، وقد يتعدى بنفسه، وقد ناب في البيت عن فعل آخر يتعدى بـ "عن" مثل "يحكي"، فينبيء معناه يخبر[٢]. وبذا تتضح الصلة بين الفعلين: "ينبيء" "ويخبر"، فشعره متشابه الطرفين، يخبر صدره عما تلاحق وينبيء به.

(٢) يَصْـبُو بِهَـا الحَكَمـيُّ صَـبْوَةَ عَاشِـقٍ وتَخِـفُّ مِـنْ طَـرَبٍ عَرِيكَـةُ مُسْـلِم[٣]

حيث تعدى الفعل "يصبو" بالباء، وهو يتعدى في الأصل بـ "إلى[٤]"، وبذا يكون قد ناب عن فعل آخر يتعدى بالباء مثل "يغرم[٥]". وبين الفعلين، الوارد في السياق والآخر المقصود علاقة وثيقة، فمن معاني الصبا: الميل إلى الشيء والشوق إليه[٦]. والمرء لا يميل إلى الشيء إلا إذا أُغرِمَ به.

(٣) **عَطْفًـا عَـلَيَّ، فَلَـمْ أَطْلُـبْ إِلَيْـكَ سِـوَى** أنْ أَمْتِـعَ العَـيْنَ مِـنْ تِمْثَالِـك الحَسَـنِ[٧]

إذ تعدى الفعل "أمتع" بـ "مِنْ" وحقه أن يتعدى بالباء[٨]، فناب بذلك عن نظير له يتعدى بـ "مِنْ" مثل "أملأ".

والفعلان "أمتع" و "أملأ" بينهما رابطة، فامتلاء العين من المنظر الحسن متعة، فالعلاقة بين الفعلين، أملأ وأمتع علاقة سببية، أي أن أولهما سبب الآخر.

---

(١) تلاحق: تَتَابَعَ. وبادٍ: واضح. ومعلم الشيء: مَظِنَّته وما يستدل به. وبادي المعلم: واضح المعالم. الديوان: ٣/ ٤٩٥.

(٢) لسان العرب: نبأ. ص ٤٣١٥.

(٣) الحكمي: أبو نواس (١٤٦ - ١٩٨هـ)، وهو الحسن بن هانئ، شاعر العراق. وتخف: تهتز. والطرب: خفة من سرور أو من حزن. والعريكة: النفس. ومسلم: هو مسلم بن الوليد الأنصاري (ت ٢٠٨ هـ)، وهو شاعر عباسي لقب بصريع الغواني. الديوان: ٣/ ٤٩٣.

(٤) لسان العرب: صبا. ص ٢٣٩٨.

(٥) وقد تكون الباء في البيت للسببية.

(٦) لسان العرب: صبا. ص ٢٣٩٨.

(٧) المتاع: التمتع. والتمثال: الصورة. الديوان: ٤/ ٧٧.

(٨) لسان العرب: صبا. ص ٢٣٩٨.

(٤) وَكَـذَا اللئِـيمُ إذَا أصَـابَ كَرَامـةً عَـادَى الصَّـدِيقَ، ومَـالَ بـالإخْوانِ[١]

وفيه تعدى الفعل "مال" بالباء، وهو يتعدى في الأصل بـ "عن" ويفيد معنى الإعراض، ويتعدى بـ "على" متضمنًا معنى الظلم، كما قد يرد لازمًا[٢]، وعلى ذلك يكون الفعل "مال" بمعنى فعل آخر يتعدى بالباء مثل "غَرَّرَ".

والمعنيان ... غرر بالإخوان ... وَظَلَمَهُمْ.

(٥) أعَـاذِلُ، خَلِّنِـي وشُـئُونَ قَلْبِـي وَخُـذْ مَـا شِـئْتَهُ فِي أيِّ شَـانِ

فَقَـدْ شَـبْ الهَـوى مَـنْ رَامَ نُصْـحِي وَأغْـرَى فِي المَحَبَّـةِ مَـنْ نَهَـانِي[٣]

حيث جاء الفعل "أغرى" متعديًا بـ "في" وهو في الأصل يتعدى بالباء، وقد يتعدى بنفسه[٤]. وهو ينوب في السياق عن فعل آخر يتعدى بـ "في" ويشابهه في المعنى مثل "أوقع".

والمعنيان ... لقد أوقعني مَنْ نهاني عن المحبة فيها .. وأغراني بها.

(٦) صَـبَابَةٌ أغْـرَتْ عَـلَيَّ الأسَـى وَدَلَّـتِ السُّـهْدَ عَـلَى مَضْـجَعِي[٥]

فالفعل "أغرى" -هنا- بمعنى "حَرَّضَ" وفي الإغراء حث وتشجيع وتحريض.

(٧) إنِّي فَقَـدْتُ اليَـوْمَ بَـيْنَ بُيُـوتِكُمْ عَقْـلِي، فَـرُدُّوهُ عَـلَيَّ لأهْتَـدِي

أوْ فَاسْـتَقِيدُونِي بِـبعضِ قِيَـانِكُمْ حَتَّـى تَـرُدَّ إلَيَّ نَفْسـي أوْتَـدِي[٦]

إذا تعدى الفعل "استقاد" بالباء، وهو يتعدى بـ "مِنْ[٧]"، فالأصل أن يقال، "استقيدوني من بعض قيانكم"، أي: سألتهم أن يقتصُّوا لي من هؤلاء القيان، وعلى ذلك يكون الفعل

---

(١) المراد: بالكرامة: المال أو الجاه، وأصاب كرامة: نال الخير من الكرماء. ومال بالإخوان: تنكر لهم. الديوان: ٤/ ٥٣.

(٢) لسان العرب: ميل. ص ٤٣٠٩.

(٣) عاذل: اسم فاعل من (عذله) أي لامه. وشب: أوقد. ورام: أراد. و (مَنْ) في الشطر الثاني: فاعل (أغرى). الديوان: ٤/ ٥٧.

(٤) لسان العرب: غرا. ص ٣٢٥٠.

(٥) الصبابة: حرارة الشوق. والسهد: الأرق والسهر. والمضجع: مكان الضجوع، وهو النوم على الجنب. الديوان: ٢/ ٢٣٠.

(٦) يشير في البيت الأول إلى فتاه الحي التي ذهبت بعقله. والقيان: جمع قَيْنة، وهي الأَمَة أو المغنية. وتدى: تعطي الدية. الديوان: ١/١٩٧، ١٩٨.

(٧) لسان العرب: قود. ص ٣٧٧١.

"استقاد" بمعنى "بَادَلَ" أي: فبادلوني ببعض قيانكم. وبين الفعلين "استقاد" و "بَادَلَ" ارتباط، "فإذا كان القَوَدُ قتل النفس بالنفس[1]، فإن المبادلة تعني أخذ شيء مكان غيره[2].

(٨) عَـــلَى أننـــي لَمْ آتِ فِي الحُـــبِّ زَلَّـــةً تَغُـــضُّ بِـــذكْرِي فِي المَحَافِـــلِ أوْ تُـــزْرِي[3]

إذْ تعدى الفعل "تغض" بالباء، والأصل أن يتعدى بـ "مِنْ[4]"، فناب عن مثيل له يتعدى بالباء مثل "تزري". والمعنى في الفعلين يكاد يكون واحدًا، بل يمكن القول: إن اللفظين مترادفان، ومن ثَمَّ فهذا الترادف يؤدي إلى تأكيد المعنى.

والمعنيان .. تزري بذكرى وتغض منه، أي تحقر من شأنه.

(٩) فَـمَا بَلَغَـتْ مَغِيـبَ الشَّـمْسِ حَتَّـى أضَـافَتْ آتِيـاً مِنْـهُ بِـمَاضِي[5]

حيث تعدى الفعل "أضاف" بالباء، والأصل بـ "إلى[6]"، فصار نائبًا عن نظير له يتعدى بالباء مثل "وَصَلَ".

والمعنيان ... وصلتْ أتيًا بماضٍ، وأضافته إليه، إذْ الإضافة وَصْلٌ.

(١٠) أنَـاةٌ بَرَاهَـا اللهُ فِي الحُسْـنِ آيَـةً يَـدِينُ إلَيْهَـا جَاهِـلٌ وَحَلِـيمُ[7]

إذ تعدى الفعل "يدين: بـ "إلى"، والأصل أن يتعدى باللام[8]، فكان بذلك نائبًا عن مثيل له يتعدى بـ "إلى"، مثل "يميل".

والمعنيان: يميل إليها جاهل وحليم، ويخضعان لها.

---

(١) السابق: قود. ص ٣٧٧١.

(٢) السابق: بدل. ص٢٣١.

(٣) زلة: خطء. وغَضَّ منه:عابه. والذِّكر : الصيت. والمحافل: جمع مَحفِل، وهو المجتمع. وتزري: تحقِّر. الديوان: ٢/ ٠١٣.

(٤) لسان العرب: غضض. ص ٣٢٦٦.

(٥) يصف الشاعر – هنا – ناقة، فيقول إنها في سيرها أضافت الزمن الآتي إلى الزمن الماضي، أي سارت النهار والليل. الديوان: ٢/ ١٩٣.

(٦) لسان العرب: ضيف. ص ٢٦٢٦.

(٧) الأناة من النساء: المترفة المنعمة. وبراها: خلقها. ويدين لها: يطيعها. الديوان: ٥٠٩/٣.

(٨) لسان العرب: دين. ص ١٤٦٧.

(١١) وَلاَ تَعْتَرِفْ بالذلِّ في طَلَبِ الغِنَى فإنَّ الغِنَى في الذُّل شرٌّ مِنَ الفَقْرِ[١]

والفعل "اعترف" يتعدى باللام، فيقال "اعترف للأمر": أي صَبَرَ، ويتعدى بالباء، فيقال: "اعترف بذنبه"، أي أَقَرَّ به، كما يَرِدُ لازما، فيقال: "اعترف فلان": إذا ذَلَّ وانقاد[٢].

والمعنى في السياق كان يقتضي أن يتعدى الفعل باللام، ويكون المراد حينئذ: لا تصبر على الذل .. أما وقد تعدى بالباء فإنه ينوب عن فعل آخر يناظره، ويتعدى بهذا الحرف مثل "رَضِيَ".

والمعنى: لا ترضَ بالذل .. وبين "الصبر" على الشيء "والرضا" به صلة قوية. والمعنيان، لا ترضَ بالذل، ولا تصبر عليه.

(١٢) لَهُ بَدَهَاتٌ لاَ تَغِبُّ، وَعَزْمَةٌ مُؤَيَّدَةٌ، تَعنُو إليْهَا الجَحَافِلُ[٣]

حيث تعدى الفعل "عنا" بـ "إلى"، والأصل أن يتعدى باللام[٤]، فناب بذلك عن مثيل له، مثل "مال". وثمة علاقة بين "العُنُوّ"، أي الخضوع، و "الميل"، فالأول يعني الخضوع والطاعة[٥]، والثاني يعني العدول إلى الشيء والإقبال عليه[٦]. وإطاعة الأمر (أو الشخص) إقبال عليه.

والمعنيان:... تميل إليها الجحافل، وتخضع لها.

(١٣) فَلاَ تَسْأَلْ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ وَلاَ تسأَلْ عَلَى مَا كَانَ مِنّي[٧]

والأصل تسأل عن[٨]، وبذا ناب عن نظير له يتعدى بـ "على" مثل "يقف". وبين الفعلين: "سأل" و "وقف" ارتباط، ففي السؤال عن الشيء استخبار عن أمره[٩]، وفي الوقوف عليه فَهْمٌ له وتبين لحقيقته[١٠].

---

(١) تعترف: تصبر. الديوان: ٢/ ١٥. وقد ورد الفعل نفسه بالصورة ذاتها في موضع آخر بالديوان: ٣/ ٨٢.

(٢) لسان العرب: عرف. ص ٢٨٩٩.

(٣) له: للممدوح، وهو الخديوي عباس حلمي الثاني (١٨٧٤ - ١٩٤٤م) . والبدهات: الآراء والتصرفات، واحدتها (بدَهَة). ولا تغب: لا تنقطع، من (غَبَّ يغب) من بابى (رَدَّ، وخَفَّ). والعزمة: الإرادة القوية. ومؤيدة: ثابتة. وتعنو: تخضع، والجحافل: الجيوش القوية، جمع جحفل. الديوان: ٣/ ١٢٦.

(٤) انظر شرح البيت بالموضع السابق.

(٥) لسان العرب: عنا. ص ٣١٤٤.

(٦) السابق: ميل. ص ٤٣٠٩.

(٧) الديوان: ٤/ ١٢٤.

(٨) انظر شرح البيت بالموضع السابق.

(٩) لسان العرب: سأل. ص ١٩٠٧.

(١٠) السابق: وقف. ص ٤٨٩٩.

والمعنيان: فلا تقف على (هذا الأمر) ولا تسأل عنه.

❋ الصورة الرابعة:

أفعال تتعدى في الأصل اللغوي بحرف جر، وترد في السياق متعدية بنفسها.

وقوام هذه الصورة سبعة مواضع:

(١) طُفْتُ البِلادَ، وَجَرَّيْتُ العِبَادَ، فَلَمْ أرْكَنْ لِخِلٍّ، وَلَمْ أجْنَحْ إلى سَكَنِ[١]

فالفعل "طاف" يتعدى بالباء وبـ "على"، وبـ "في" فيقال: طاف بالقوم وعليهم.. وطاف حول الشيء ... وطاف في البلاد ...[٢]، أي أن الفعل كان ينبغي أن يتعدى في السياق السابق بـ "في"، ولكنه تعدى بنفسه، فصار نائبًا عن فعل آخر مثل "زار"، ويكون المعنى: "زرت البلاد"، وفي الزيارة "طَوْف" أو "تَطْواف".

والمعنيان زرت البلاد وطفت بها (أو حولها ..) ومن الممكن أن يكون لفظ "البلاد" منصوبًا على نزع الخافض.

(٢)إذَا ارْتَابَ أمْرًا ألهَّبَتْهُ حَفِيظَةٌ تُمِيتُ الرِّضَا بِالسُّخْطِ، والحِلْمَ بالجَهْلِ[٣]

والفعل "ارتاب" يتعدى بالباء ويكون بمعنى اتَّهَمَ، ويتعدى بـ "في"، ويصير معناه: شك. وقد يتعدى بنفسه، فيقال: ارتبت فلانًا، أي اتهمته[٤].

وقد تعدى في البيت بنفسه، إلا أن معناه حين يتعدى بنفسه لا يتواءم مع معنى البيت، لذا فإنه كان يجب أن يتعدى بـ "في"، أي "إذ شك في أمر. فالفعل ارتاب -في البيت- ينوب عن آخر يتعدى بنفسه مثل "خاف" أو "خَشِيَ" أي، إذا خاف أمرًا... وبين الشك والخوف صلة نفسية وثيقة.

والمعنيان: إذا خاف أمرًا وشَكَّ فيه ...

---

(١) ركن إليه: اطمأن وسكن. وجنح إليه: مال إليه. والسكن: المنزل والمسكن. الديوان: ٤/ ٨٠.

(٢) لسان العرب: طوف. ص ٢٧٢٢، وطيف. ص ٢٧٣٩.

(٣) ألهبته: هَيَّجْتَه. والحفيظة: الحَمِيَّة. والحلم: الصبر. الديوان: ٣/ ٨١.

(٤) لسان العرب: ريب. ص١٧٨٨.

(٣) فَيَـا بَـرقُ حَـدِّثْنِي، وَأَنْـتَ مُصَـدَّقٌ عَـنِ الآلِ والأصْـحَابِ مَـا فَعَلُـوا بَعْـدِي
وعَـن رَوْضَـةِ المِقْيَـاسِ تَجْـرِي خِلالهَـا جَـدَاولُ يُسْـدِيهَا الغَـمَامُ بِـمَا يُسْـدِي[١]

فالفعل "يُسْدِي" يتعدى بـ "إلى" من السَّدَى وهو المعروف[٢]، وقد تعدى في البيت بنفسه نائبًا عن نظير له مثل "يعطي"، والفعلان بمعنى واحد، فالأفعال "أسدى وأولى بمعنى. يقال: أسديتُ إليه معروفًا أُسْدِى إسداءً"[٣].

إذن فالعلاقة بين الفعلين -الوارد في السياق والمنوب عنه - علاقة ترادف، وحضور الفعلين في السياق يؤكد المعنى ويقويه. ومعلوم أن أسدى من حيث المعنى من أفعال المنح، لأنها من أخوات أعطى، فتنصب مفعولين ليس أصلهما المبتدأ الخبر، ويغلب تعديها بـ "إلى"، وقد وردت في هذا السياق متعدية بغير إلى.

(٤)أمِـينٌ عَـلَى غَيْـبِ الصَّـدِيقِ إذَا وَنَـتْ عُهُـودُ أنَـاسٍ، أوْ تَطرَّقَهَـا فَـتْرُ[٤]

حيث إن الفعل "تَطَرَّقَ" يتعدى أصلًا بـ "إلى"[٥]، فناب في البيت عن فعل آخر يتعدى بنفسه مثل "أصاب" أو "لَحِقَ"، وبين الفعلين علاقة ترادف.

(٥) فَقَـرِّبْ لِيَ الخَـيْرَ الـذِي أنـا رَاغِـبٌ وَبَاعِـدْنِيَ الشَّـرَّ الـذِي أنـا حَـاذِرُ[٦]

إذ إن الفعل "بَاعَدَ" يتعدى - في الأصل - بـ "عن" و "بين"[٧]. وقد ناب في البيت عن مثيل له يتعدى بنفسه مثل "وَقى"، والتقدير: "قِنِي الشَّرَّ ...".

وبين المباعدة (أو البعاد) والوقاية ارتباط في المعنى.

---

(١) الآل: الأهل. وروضة المقياس: جزيرة في النيل شرقي الجيزة. والجداول جمع (جدول) وهو النهر الصغير. والغمام: السحاب. الديوان: ١/٢٠٥.

(٢) لسان العرب: سدا. ص ١٩٧٩.

(٣) السابق: سدا. ص ١٩٧٩.

(٤) أمين على غيب الصديق: لا يخون عهده. وونت: ضعفت. والفَتَرُ (بفتح الفاء والتاء): الضعف، وسكنت الفاء للضرورة. الديوان: ٢/٦٧.

(٥) لسان العرب: طرق. ص ٢٢٦٥.

(٦) حاذر: صفة من الحذر، وهو الاحتراس. الديوان: ٢/١٣٩.

(٧) لسان العرب: بعد. ص ٣٠٩، ٣١٠.

(٦) أَشْـــتَاقُ نجْـــدًا وسَـــاكِنِيه وأَيْـــنَ مِنِّـــي الغـــدَاةَ نَجْـــدُ؟[١]

فالفعل "أشتاق" يتعدى - في الأصل - بـ "إلى"، وقد ناب في البيت عن فعل آخر يتعدى بنفسه ويناظره في المعنى مثل "أحب". والصلة واضحة بين الفعلين" فالشوق" لا يكون إلا عن "حُبٍّ"، فالعلاقة بين الفعلين علاقة سببية، أي أن أحدهما "الحُب" مُسبب للآخر "الشوق". ويمكن أن يكون اللفظ "نجدًا" منصوبًا على نزع الخافض.

(٧) إذا أشرْتُ لَهُـــمْ في حَاجَـــةٍ بَـــدَرُوا قضـــاءَهَا قَبْـــلَ أنْ يَرْتـــدَّ إلمـــاعِي[٢]

والفعل "بَدَرَ" يتعدى أصلًا بـ "إلى"[٣] وقد ناب هنا عن مثيل له يتعدى بنفسه مثل "أَتَمَّ".

والعلاقة بين الفعلين تكمن في أن البدور إلى الشيء يعني الإسراع إليه[٤]، وإتمام الشيء يعني بذل الوقت والجهد في سبيل إكماله، فالهمة والعزم يجمعان بين المعنيين.

والمعنيان ... أسرَعوا إلى الشيء وأَتَمُّوا تنفيذه.

*** الصورة الخامسة:**

أفعال تتعدى في الأصل اللغوي إلى مفعول به واحد، وتتعدى في السياق إلى مفعولين:

وتجيء هذه الصورة في موضع واحد هو:

أُغالطُـــهُ قـــوْلي، وَأَمْحَضُـــهُ الوَفـــا كَـــأَنِّي بِـــمَا في صَـــدْرِهِ غـــيْرُ عَـــالِمِ[٥]

فالفعل "غالط" يتعدى في الأصل إلى مفعول به واحد[٦]، ولكنه تعدى في الموضع السابق إلى مفعولين هما: الهاء في "أغالطه" وقول في "قولي"، والمعنى أخدعه بقولي.

---

(١) نجد: قسم بوسط المملكة العربية السعودية، وبها الرياض العاصمة. والغداة: أول النهار. الديوان: ١/ ٢٥٩.

(٢) الإلماع: مصدر ألمع بيده إلى الشيء، أي: أشار. الديوان: ٢/٢٦٧.

(٣) لسان العرب: بدر. ص ٢٢٨.

(٤) السابق بدر. ص ٢٢٨.

(٥) يريد بالمغالطة القولية هنا: المجاملة اللسانية. وأمحضه الوفاء: أخلصته، والوفا أصله الوفاء، وقصر للضرورة. الديوان: ٣/ ١٨٩.

(٦) لسان العرب: غالط. ص ٣٢٨١.

والعلاقة بين الفعلين "أغالط" و"أخدع"، تأتي من حيث إن أولهما يدل على الانحراف عن الصواب[1]، وثانيهما يشير إلى إظهار شيء مخالف لما يُخفيه المرء[2]، أي أن كلا الفعلين يعني الابتعاد عن المثالية في السلوك والتعامل.

*** الصورة السادسة:**

أفعال ترد بمعنى أفعال أخرى:

وعدد مواضع هذه الصورة أربعة عشر موضعًا:

(١) وَمَنْ عَرَف الدُّنْيَا رَأى مَا يَسُرُّهُ مِنَ العَيْش هَمًّا يَتْرُك الشُّهْدَ عَلْقَمَا[3]

فقد ورد الفعل "يترك" بمعنى فعل آخر أكثر ملاءمة منه في سياق البيت، وهو "يجعل"، أي: هَماً يجعل الشهد علقما. "والتَّرْكُ: الجَعْلُ في بعض اللغات"[4].

فالعلاقة بين الفعلين "يترك" و "يجعل" علاقة ترادف في الاستعمال.

(٢) تَرى لِخَوَابِيهَا أَزِيزًا، كَأنها خلايَا تَغنَّتْ فِي جَوَانِبِهَا النَّحْلُ [5]

فالأزيز، وهو صوت غليان القِدْر[6]، لا يُرى ولكن يُسمع، إذن فالفعل "ترى" بمعنى "تسمع"، والفعل بهذا يدل على شدة اضطراب الخمر في قِدْرها، ذلك أن الرؤية أشد تأثيرًا في النفس وأكثر التصاقًا بالذهن من السمع. ويُلاحظ أن الفعلين "ترى" و "تسمع" حِسِّيان ينبعان من حاستي البصر والسمع عند الإنسان، فبينهما اتصال وارتباط وثيقان.

ويتكرر هذا الفعل "ترى" بكل دلالته مرة أخرى في قوله:

---

(١) السابق : غالط. ص ٣٢٨١. وقد ورد الفعل (غالط) متعدياً بنفسه إلى مفعول بواحد في موضعين بالديوان: ٣/ ٢٨٩، ٣٠١.

(٢) السابق: خدع. ص١١١٢.

(٣) العيش: الحياة . والشهد (بفتح الشين وضمها): عسل النحل ما دام لم يعصر من شمعه. والعلقم: الحنظل، ويضرب المثل بمرارته. الديوان: ٣/ ٣٩٤.

(٤) لسان العرب: ترك. ص٤٣٠.

(٥) خوابيها: خوابي الخمر، أي الأوعية التي تحفظ فيها، جمع خابية. والخلايا: خلايا النحل وبيوته. الديوان: ٣/٤١.

(٦) لسان العرب: أزز. ص٧٢.

تـــرى بَيْـــنَهُمْ -يَـــا فـــرَّق اللهُ بَيْـــنَهُمْ- لَهِـــيبَ صِـــيَاحٍ يَصْـــعَدُ الفَلَـــكَ العَـــالي[1]

والمعنى تسمع صياحًا كاللهيب، ومفعول "ترى" التي بمعنى تسمع في هذا البيت، هو في الأصل الصياح بالطبع، ولكن الشاعر عَمَدَ إلى صورة المضاف والمضاف إليه للمبالغة، فبدلًا من أن يقول: تسمع صياحًا ملتهبًا قال: ترى لهيبَ صياح، فالرؤية تكون للهيب لا للصياح، لأن الصياح يُسمع ولا يُرى.

(٣) لَمْ يَـــنْظِمِ الحُـــوشِيَّ عُجْبًـــا بـــهِ وَلَمْ يُســـــمِّ الـــــوَرْدَ بـــــالحَوْجَمِ
لَكِنَّـــــهُ رَازَ الحِجَـــــا، فـــــاكْتَفى بِوَاضِـــحِ القـــوْلِ عَـــنِ المُعْجَـــمِ[2]

فالمقصود من قوله: (فاكتفى بواضح القول عن المعجم) أن الممدوح قد آثَرَ الكلام الواضح السهل وقنع به، وترك الغامض والمستبهم ونفر منه، إذن الفعل "اكتفى" يأتي بمعنى فعل آخر يماثله في المعنى مثل "استغنى"، وهو مرادفه[3].

وقد يكون الفعل "اكتفى" بمعناه -باعتبار أن في الكلام حذفًا- ويصبح التقدير: فاكتفى بواضح القول مستغنيًا عن المعجم.

(٤) كَـــمْ حَكِـــيم ضَـــلَّ فِيهَـــا فاكْتَســـــىَ بِـــالعِلم جَهْـــلا[4]

فلم يرد الفعل "اكتسى" بمعناه الأصلي، وإنما وَرَدَ بديلًا عن فعل آخر مثل "استبدل"[5]، وهو أكثر دلالة على المعنى المراد، ودليل ذلك "الباء" التي تلزم هذا الفعل وتدخل على المتروك، وهو -في السياق- العِلْم.

وبين "اكتسى" و "استبدل" صلة في المعنى، فالكُسوة ما هي إلا استبدال حالة بأخرى: أي استبدال الكُسوة بالعُري.

---

(١) يتحدث الشاعر في البيت عن أطفال جارته وصخبهم. و (يا) حرف تنبيه. و(وفرق الله بينهم): جملة دعائية. ولهيب صياح، أي: صياحاً كلهيب النار. والفلك: الفضاء. الديوان: ٣/ ٢٥٠.

(٢) ينظم: يجمع ويؤلف. الحوشي: الغريب والغامض من الكلام. والحوجم: الورد الأحمر، واحدته: حوجمة. وراز: جَرَّبَ. والحجا: العقل، والجمع: أحجاء. الديوان: ٥٥٨/٣ .

(٣) انظر شرح البيت بالموضع السابق.

(٤) ضل فيها: ضل في الدنيا. الديوان: ٣ / ٢٦٠.

(٥) انظر شرح البيت بالموضع السابق.

(٥) تُخادِعُنَا الدُّنْيَا، فَنَلْهُو، وَلَمْ نَخَلْ بِأَنَّ الرَّدَى حَتْمٌ عَلَى الحَيَوَانِ[١]

فالفعل "نخال" المجزوم بـ "لم" -وهو في الأصل بمعنى حسب أوْ ظَنَّ- يأتي هنا بمعنى "نتيقن"[٢]، فالدنيا تخدع الإنسان فلا يتيقن بأن الموت محتوم على كل كائن حتى الحيوان، ويرد نفس الفعل بمعناه السابق في قوله:

وَأَصْدَعُ الخَصْمَ، ومَا خِلْتُنِي أَصْدَعُ إلا البَطَلَ الأَصْيَدَا[٣]

فالفعل "خال" كما يأتي بمعنى "ظن" يجيء أيضًا بمعنى عَلِمَ[٤]، وعلى ذلك فالمعنى في السياق: "وما علمتني أصدع إلا البطل الأصيدا".

(٦) إنْ حَلَّ أَرْضاً حَمَى بالسَّيْفِ جَانِبَهَا وإنْ وَعَى نَبْأَةً مِنْ صَارِخٍ رَكِبَا[٥]

إذ إن الفعل "وعى" -ومعناه: حَفِظَ وفَهِمَ وقَبِلَ[٦]- قد ورد هنا بمعنى "سمع"[٧]، ودليل ذلك المفعول به الذي تلاه "نبأة"، ومعناها الصوت الخفي[٨].

وربما تكون العلاقة بين الفعلين "وعى" -وهو الفعل المذكور- و"سمع" -وهو الفعل المراد- مَردُّها أن في "سماع" الشيء فَهْمًا للمراد منه، و"الفهم" أحد معاني الفعل "وعى".

(٧) تَتْرُكُ المَاءَ لاَ يَسُوغُ لِظَامٍ وَتَرُدُّ الدَّمَ الحَرَامَ مُبَاحَا[٩]

فالفعل "تَرُدُّ" يأتي في السياق بمعنى "تجعل".

ويمكن أن نتبين العلاقة بين الفعلين -الوارد والمراد- ببيان أن معنى "الرَّد: صَرْف الشيء ورجعُهُ[١٠]"، ومن المصدر الأخير "يقال: أرجع الله همه سرورًا: أي أبدل همه

(١) تخادعنا:تخدعنا. والردى: الموت. والحيوان: كل ذي روح. الديوان: ٤/ ١٠٢.
(٢) انظر شرح البيت بالموضع السابق.
(٣) أصدع الخصم: أقهره. والأصيد: الرافع رأسه كبرا. الديوان: ١/ ٢٧٣.
(٤) لسان العرب: خيل. ص ١٣٠٤.
(٥) ومعنى الشطر الثاني أنه إن سمع مستغيثاً هب إلى إغاثته. الديوان: ١/ ١١٦.
(٦) لسان العرب: وعي. ص ٤٨٧٦.
(٧) انظر شرح البيت بالديوان: ١/١١٦.
(٨) لسان العرب: نبأ. ص ٤٣١٦.
(٩) لا يسوغ: لا يسهل شربه. وظام: أصلها ظامئ، أي عطشان. الديوان: ١/١٧٥.
(١٠) لسان العرب: ودد. ص ١٦٢١.

سرورًا"[1]، أي أن الفعل "رَدَّ" يعود -في النهاية- إلى معنى التبديل الذي يعني "تغيير الشيء عن حاله"[2]، وهو ما يتفق مع معنى الفعل المراد من سياق البيت، وهو "تجعل"، الذي يقصد به التحويل، أي التغيير من حالة إلى أخرى. فبين "ترد" و "تجعل" ترادُفٌ غير مباشر.

(٨) لَعَـلَّ حَـدِيثَ الشَّـوْقِ يُطْفِـيءُ لوْعَـةً مِـنَ الوَجْـدِ، أوْ يَقْضِـي بِصَـاحِبِهِ الفقْـدُ[3]

فالفعل "يقضي" في البيت بمعنى "يذهب"، أي يذهب بصاحبه "الفَقْدُ"، يريد يهلكه.وثمة علاقة بين الفعلين، إذ الفعل "قضى" في اللغة على ضروب، كلها ترجع إلى معنى انقطاع الشيء وتمامه[4]، ومنه القاضية، أي الموت[5]، ويقال أيضًا: قد قضى فلان، أي مات ومضى[6].

أما "ذَهَبَ به" فبمعنى أزاله[7]، أي أن انقطاع الشيء يعني إزالته، فالفعلان بمعنى واحد.

(٩) لَـوْلا اتِّقَـاء الحَيَـاءِ لاعتَضْـتُ بِـالْ حِلْـم هُيَامًـا يَحِيـقُ بِالجَلَـدِ[8]

فالفعل "اعتاض" بمعنى "استبدل"[9]، ودليل ذالك دخول "الباء" على المتروك وهو "الحلْم".

والعلاقة بين الفعلين واضحة، إذ يقال "اعتاضة" منه واستعاضة وتعوضه، كلُّهُ، سأل العِوَض[10]"، كما يقال: "عُضْتُ فلانًا وأعضتُهُ وعَوَّضْتُهُ: إذا أعطيتُهُ بَدَلَ ما ذَهَبَ منه[11]. والعِوَضُ البَدَل"[12].

---

(١) السابق: رجع. ص ١٥٩١.
(٢) السابق بدل. ص٢٣١.
(٣) اللوعة: حرقة في القلب من الحب. والوجد: المحبة. الديوان: ١/ ٢١٠.
(٤) لسان العرب: قضى. ص٣٦٦٦.
(٥) السابق: قضى. ص ٣٦٦٦.
(٦) السابق: قضى. ص ٣٦٦٦.
(٧) السابق: ذهب. ص ١٥٢٢.
(٨) الحلم: الصبر والأناة. والهيام: الجنون من العشق. ويحيق: يحيط. والجَلَد: الصبر. الديوان: ١/ ٢٤٩.
(٩) انظر شرح البيت بالموضع السابق.
(١٠) لسان العرب: عوض. ص٣١٧١.
(١١) السابق: عوض. ص ٣١٧٠.
(١٢) السابق: عوض. ص ٣١٧٠.

أما الفعل المراد في سياق البيت وهو "استبدل" فيقال فيه، "تَبَدَّلَ الشيء وتبدَّل به واستبدله واستبدل به، كله: اتخذ منه بدلًا"[1].

فالفعلان يعنيان -في النهاية- إحلال شيء محل آخر.

(١٠) أيُّها السَّاهِرُونَ حَوْلَ وِسَادِي لسْتُ منْكُمْ أوْ تذْكرُوا لِيَ نجْدَا

....

وَنَسيمًا إذا سَرى ضَوَّع الآ فاقَ مِسْكاً، وعَطَّرَ الجَوَّ نَدَّا[2]

إذْ إن الفعل "ضَوَّعَ" بمعنى "ملأ". و "ضوع" -في الأصل اللغوي- يعني حَرَّكَ وهَيَّجَ[3].

والصلة بين الفعلين: "ضَوَّعَ" و "ملأ" أن تضوُّعَ الريح يعني انتشار رائحته، وهو ما يتفق تمامًا مع معنى امتلاء الآفاق بالمسك، إذ يقال "ضاع المسك وتضوع وتضيع، أي تحرك فانتشرت رائحته"[4].

(١١) شَفَّتْ زُجَاجَةُ فِكْرِي، فارتَسمْتُ بهَا عُلْياكَ مِنْ مَنْطِقِي في لَوْح تصويرِ[5]

وارتسم -هنا- بمعنى "رسمت وصورت"[6]. والصلة بين الفعلين أن ارتسم يعني امتثل. كما يعني كَبَّرَ وَدَعَا[7]، وامتثل الشيء يعني - فيما يعني- تَصَوَّرَهُ[8].

من هنا يبدو معنى امتثل الذي تشير بعض دلالته إلى معنى التصوير، وبذا تبرز العلاقة بين الفعلين المذكور والمراد.

---

(١) السابق: بدل. ص ٢٣١.

(٢) الوسادة: المخدة. ونجد: قسم بوسط المملكة العربية السعودية، وخُص بالذكر لأنه كان موطن الحب العفيف. وسَرَى: سار: والنَّدُّ: نوع من الطيب. الديوان: ٢٧٦/١.

(٣) لسان العرب: ضوع. ص ٢٦٢٠.

(٤) السابق: ضوع. ص ٢٦٢٠.

(٥) شفت: صفت ورقَّت. الديوان: ٣٨/٢.

(٦) انظر شرح البيت بالديوان بالموضع السابق.

(٧) لسان العرب: رسم. ص١٦٤٦.

(٨) السابق: مثل. ص ٤١٣٥.

(١٢) فَكَمْ سَمَلوا عَيْنًا بِهَا تبصرُ العُلا وَشَلُّوا يَدًا كانتْ بِهَا رَايةُ النَّصْرِ[١]

فالفعل "شل" بمعنى "قطع"، لأن هذا الفعل يتعدى بالهمزة فيقال: أَشَلَّ (اللهُ) يَدَهُ[٢]. والفعلان بينهما صلة قوية، إذ إن أحد معاني الشلل "القطع"[٣].

(١٣) تقلَّدتْ مِنْ جُمَان الشُهْب مِنْطَقَةً مَعقودةً بِوِشاح غيْرِ مِقْلاقِ[٤]

والفعل "تقلَّد" -في الأصل- يأتي في قوله: تقلَّد السيف، أي حمله وتقلدت المرأة أي وضعت القِلادة في عنقها[٥].

"وتقلد" -هنا- بمعنى "لبس" ودليل ذلك المفعول به "مِنْطَقة" إذ يقال "انتطَقَ الرجُلُ" أي لبس المِنْطَق وهو كل ما شَدَدْتَ به وَسَطَك[٦]".

فالفعلان "تقلد" و "لبس" يشيران إلى معنى واحد.

(١٤) بَيْنَا تَرَاه كالزلالِ لطَافَةً .....

أوْ كالتُّرابِ يَهِيلُ مِنْ عَقدَاتِهِ أو كَالهَواء يَجُولُ في آفاقِهِ[٧]

فالفعل "هَالَ" يتعدى بـ "على"، فيقال هال عليه التراب هيلًا، كما يتعدى بنفسه كما في قوله: هَالَ الرَّمْلَ أي دفعه[٨]. والفعل المطاوع في الحالين "انهال" وهو المراد من سياق البيت[٩].

---

(١) سمل: فقأ. الديوان: ٢/٥٨.

(٢) لسان العرب: شلل. ص ٢٣١٦.

(٣) السابق: شلل. ص ٢٣١٦.

(٤) جمان الشهب: الشهب الشبيهة بالجمان، وهو اللؤلؤ، والمراد بالشهب - هنا - النجوم. ومعقودة: مربوطة. والوشاح: نسيج عريض يُرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحها (العاتق: ما بين المنكب والعنق، والكشح: ما بين الخاصرة والضلوع. والمنكب: مجتمع رأس العضد والكتف). وغير مقلاق: غير مضطرب. الديوان: ٢/ ٣٢٧.

(٥) لسان العرب: قلد. ص ٣٧١٨.

(٦) السابق: نطق. ص ٤٦٦٣.

(٧) بينا: أصلها (بين)، فأشبعت الفتحة. والزلال: الماء الصافي العذب. واللطافة: الرقة. وعقدات التراب: ما تراكم عنه، والواحدة: عَقْدة. الديوان: ٢/ ٣٤٦.

(٨) لسان العرب: هيل. ص ٤٧٣٨، ٤٧٣٩.

(٩) انظر شرح البيت بالديوان: ٢/٣٤٦.

والصلة بين الفعلين واضحة، فالفعل المقصود هو مطاوع المذكور.

وتتضح في تلك الظاهرة العلاقة بين الأفعال المذكورة في السياق الشعري والأخرى المقصودة، وهذه العلاقة تقوي -أحيانًا- إلى الحد الذي يكون فيه الفعل المقصود هو المرادف من حيث الاستعمال اللغوي للفعل المذكور، وتضعف -في بعض الأحيان- حتى إنه ليبدو أنه ليس ثمة علاقة بينهما، ولكن بالبحث في معاني الفعل المذكور نجد المعنى القريب من مثيله المقصود، ثم بالبحث مرة أخرى في هذا المعنى القريب يتضح المراد. وتتباين العلاقة بين الفعل المذكور والآخر المراد على النحو التالي:

(١) الترادف التام بين المذكور والمراد:

كما في الأفعال يسدى/ يعطي، ويترك/يجعل، واكتفى/ استغنى، واعتاض/ استبدل، وأودع / ترك، وفاق/ علا، وتمل/ تمتع.

(٢) الترادف غير التام بين المذكور والمراد:

كما في الفعلين "ترد" و "تجعل"، فالردُّ يعني رجع الشيء، والإرجاع يعني الإبدال، أي أن الفعل "رَدَّ" يشير إلى معنى التبديل والتغيير، وهو ما يتفق مع مدلول الفعل "جعل".

ويتضح هذا الترادف غير التام ين الفعلين "ينبيء" و "يحكي"، فينبيء -في الأصل- معناه يخبر وفي "الحكاية" إخبار.

(٣) وجود علاقة السببية بين المذكور والمراد:

بمعنى أن أحدهما سبب للآخر، كما في الفعلين "تألم" و "تحمل"، والتألم لا يحدث إلا بعد تحمُّل، وفي الفعلين "اشتاق" و "أحب" فالشوق لا يكون إلا عن حب، وكذلك في الفعلين "يصبو" و "يغرم" فمن معاني الصبا الميل إلى الشيء والشوق إليه، والمرء لا يميل إلى الشيء إلا إذا أغرم به.

(٤) اشتراك المذكور والمراد في الدلالة:

ومثال ذلك "القود" و "المبادلة" فالقود قتل النفس بالنفس، والمبادلة تعني أخذ شيء مكان آخر.

وتتضح فكرة الاشتراك في الدلالة في الفعلين "اكتسى" و "استبدل"، ففي الكسوة استبدال حالة بأخرى، أي استبدال الكسوة بالعُري، وفي الفعلين "تسأل عن" و "تقف على"، فالأول يعني الاستفهام عن أمر ما، والثاني يشير إلى الوقوف على أمر محدد بهدف فهمه.

ويُبرزُ هذه الفكرةَ أيضًا الفعلان "ارتاب" و "خاف"، فالأول يعني الشك والاتهام، والآخر يعبر عن شعور نفسي معين، والفعلان "أغالط" و "أخدع"، من حيث إن أولهما تشير دلالته إلى الابتعاد عن الصواب، بينما يعني الثاني الانحراف عن الطريق السوي في المعاملة.

كذلك يُظهر هذه الفكرةَ الفعلان، "باعد" و"وقى" اللذان يشيران إلى معنى التجنب والوقاية.

(٥) الارتباط المثالي بين المذكور والمراد:

كما في الفعلين "وعَى" نبأة أي: سمع نبأة، فهو يفترض أن النبأة (أي الصوت الخفي) قد سمعت وفُهم المرادُ منها، ومن هنا تبدو المثالية بين الفعلين.

(٦) الارتباط العكسي بين المذكور والمراد:

كما في "ترى" بمعنى "سمع"، فالعلاقة بين الفعلين علاقة عكسية، فأولهما مصدره حاسة الإبصار، والآخر مصدره حاسة السمع.

(٧) الارتباط الجزئي بين المذكور والمراد:

ومثال ذلك الفعلان "شل" و "قطع"، فالقطع أحد معاني الشلل.

* * *

إحصاء لظاهرة التناوب بين الأفعال في ديوان البارودي:

الصورة الأول:

أفعال تتعدى - في الأصل اللغوي - بنفسها، وتتعدى في السياق، بحرف جر:

(عشر ة أفعال)

الفعل المذكور	الفعل المراد	الفعل المذكور	الفعل المراد
أَوْدَعَ	تَرَكَ	افترسَ	هَوَى
تفُوقُ	تَطْغى	تمل	تمَتَّع
يمر	يردُ	أدعو	أصيح
تأمَّل	انظُرْ	أرافق	أحِنُّ
يهوي	يقص	اصطحِبْ	اقترِنْ

الصورة الثانية:

أفعال في الأصل اللغوي لازمة، وترد في السياق متعدية:

(فعلان)

الفعل المذكور	الفعل المراد	الفعل المذكور	الفعل المراد
تألَّمَ	تحمَّلَ	تجافَى	هَجَرَ

الصورة الثالثة:

أفعال تتعدى -في الأصل اللغوي- بحرف جر معين، وتتعدى في السياق بغيره:

(ثلاثة عشر فعلًا)

الفعل المذكور	الفعل المراد	الفعل المذكور	الفعل المراد
يُنبىء	يحكى	تَغُضُّ	تُزري
يصبُو	يُغْرَمُ	أَضَاَف	وَصَلَ
أُمْتِعُ	أملأ	يَدينُ	يَميلُ
مَالَ	غَرَّرَ	تَعْترِف	تَرْضى
أغرى	أوقع	تعنُو	تميلُ
أغرى	حَرَّضَ	تسأل عن	تقف عَلَى
اسْتَقَاد	بَادَلَ		

الصورة الرابعة:

أفعال تتعدى - في الأصل اللغوي - بحرف جر، وترد في السياق متعدية بنفسها:

(سبعة أفعال)

الفعل المذكور	الفعل المراد	الفعل المذكور	الفعل المراد
طَافَ	زَارَ	بَاعَدَ (باَعَدْني)	وَقى (قِنِي)
ارتاب	خافَ	أشتاقُ	أُحُب
يُسْدي	يُعطى	بَدَرَ	أَتَمَّ
تطرَّقَ	أصَابَ		

الصورة الخامسة:

أفعال تتعدى - في الأصل اللغوي - إلى مفعول به واحد، وتتعدى في السياق إلى مفعولين:

(فعل واحد)

الفعل المذكور	الفعل المراد
أُغالط	أخدعُ

الصورة السادسة:

أفعال ترد بمعنى أفعال أخرى:

(أربعة عشر فعلًا)

الفعل المذكور	الفعل المراد	الفعل المذكور	الفعل المراد
يتركُ	يجعلُ	يقضى	يَذهبُ بـ
تَرَى	تسمع	اعتاض	استبدل
اكتفى	استغنى	ضَوَّعَ	ملأ
اكتسى	استبدل	ارتسم	صَوَّرَ
تخال	تتيقَّنُ	شَلَّ	قَطَعَ
وَعَى	سَمِعَ	تقلَّد	لَبسَ
تَرُدُّ	تجعلُ	يَهيلُ	ينهالُ

ثانيا: التناوب بين الأسماء:

تعد ظاهرة التناوب بين الأسماء من الظواهر الأسلوبية اللافتة للنظر في شعر البارودي، ونعني بهذه الظاهرة ورود اسم في السياق الشعري بديلًا عن نظير له.

ولا يعني ذلك أن أي اسم من الأسماء يصلح لأن ينوب عن غيره، إذ لابد أن تكون هناك مشابهة أو علاقة بين الاسم النائب الوارد في السياق والآخر المنوب عنه.

وتتضح تلك الظاهرة على النحو التالي:

(١) المدمع بمعنى "الدمع":

ويرد هذا في اثني عشر موضعًا.

يقول:

هَـوًى كَضَـمِير الزَّنْـدِ، لَـوْ أنَّ مَـدْمَعي تَـأخَّرَ عَـنْ سُـقْيَاهُ لاحْـتَرَق الصَّـدْرُ[١]

أي: لو أن دمعي تأخر عن سقياه ..

"والمدمع مسيل الدمع"[٢]، وهو أيضًا "مُجْتَمَعُ الدَّمْعِ في نَوَاحي العين"[٣]، والمدمع اسم مكان من "دَمَعَ" المفتوح العين في المضارع، أي أن اسم المكان "المدمع" قد ورد في السياق بمعنى الاسم "الدمع". ويأتي جمع كل من الاسم النائب والآخر المنوب عنه كما يلي:

- المدامع بمعنى "الدموع":

وقوام ذلك سبعة مواضع.

(١) كـانَّ النَّـدَى فَـوْقَ الشَّـقِيقِ مَـدَامِعٌ تَجُـولُ بِخَـدٍّ، أوْ جُمَـانٌ عـلَى تِـبْرِ[٤]

يريد: كأن الندى فوق الشقيق دموع[٥].

---

(١) الزَّند: العود الذي تقدح به النار، ويريد بضمير الزند: ما فيه من نار كامنة. والسقيا: الاسم من السَّقْي. الديوان: ١٤٧/٢.

(٢) لسان العرب: دمع. ص ١٤٢٢.

(٣) السابق: دمع. ص ١٤٢٢.

(٤) الندى: البلل. ويريد بالشقيق: شقائق النعمان، وهو زهر أحمر اللون. وتجول: تتحرك. والجمان: اللؤلؤ. والتبر: ما كان من الذهب قبل صوغه. الديوان: ٢/ ٠٤.

(٥) انظر شرح البيت بالديوان: ٠٤/٢.

(٢) "المآقي" بمعنى "الدُمُوع":

يقول:

تَلُـــومِيني عَـــلَى عَـــبَراتِ عينـــي؟ وَلَـــوْلاَ الحُـــبُّ لَمْ تَجْـــرِ المـــآقِي[١]

فالمآقي هي أطراف العين مما يلي الأنف، ومفردها "المأقي"، أو "المؤقي"[٢].

ونلاحظ في المواضع السابقة ارتباطًا قويًّا بين الاسم المذكور والآخر المراد، فالألفاظ: المدمع والمدامع والمآقي تعني في الأصل مجرى الدمع من العين، ولكنه يراد بها الدمع، "أو الدموع"، والعلاقة بين هذه الأسماء النائبة والأخرى المنوب عنها علاقة مكانية، فاللفظ يدل -أساسًا- على المكان، ولكنه في السياق يشير إلى الاسم ذاته.

(٤) "اللحظ" بمعنى "العين":

يقول:

فتَـــاةٌ كَـــأنَّ اللهَ صـــوَّر لحْظَهَـــا ليهْتِـــكَ أسْرار القُلُـــوبِ بـــهِ عَمْـــدا[٣]

أي: "كأن الله صور عينها".

ويأتي المثنى في قوله:

حَوَاجبُهَـــا القِسِـــيُّ، وَلَحْظَتَاهَـــا بِهَـــا سَـــهْمَانِ والأهـــدابُ رِيـــشُ[٤]

يريد ... وعيناها بهما سهمان.

والجمع في قوله:

هَـــذِي لِحَـــاظُ الغِيـــدِ بَـــيْنَ شِـــعَابكُمْ فتَكَـــتْ بنَـــا خَلْســـاً بغَـــيْرِ مُهَنَّـــدِ[٥]

إذا "اللِّحاظ" مصدر لاحظته إذا راعيته، ويرى بعضهم أن لحاظ العين مؤخرها مما يلي الصُّدْغ[٦].

---

(١) تلوميني: الأصل أتلومينني، فهو استفهام، ويجوز أن يكون خبرا. والعبرات: الدموع، جمع (عَبْرة)، الديوان: ٢/ ٣٢٣.

(٢) لسان العرب: مأق. ص ٤١٢١ .

(٣) الديوان: ١/ ٢٦٦.

(٤) القسي: جمع (قوس). والأهداب: شعر أشفار العين، جمع (هُدْب). الديوان: ١٧٩/٢.

(٥) الغيد: جمع (غيداء)، وهي المرأة الناعمة. والشِّعَاب: جمع شِعْب، وهو الطريق في الجبل. وخلسا: أي دون تنبيه. والمهند: السيف. الديوان: ١/ ١٩٨.

(٦) لسان العرب: لحظ: ص ٤٠٠٨، وانظر شرح البيت بالموضع السابق.

وقد ثُنِّي اللحظ -وهو مصدر يعني النظر بمؤخر العين- ثم جُمع على لحاظ.

ويلاحظ أن كل المواضع التي ورد فيها اللفظ ومثناه وجمعه كان في التغزل في الحبيبة ووصفها.

(٤) الجفن بمعنى العين:

يقول:

أَقُولُ لَه والجَفْنُ يكسُو نِجَادَهُ دُمُوعاً كَمُرْفَضِّ الجُمَانِ مِنَ العِقْدِ

لقَدْ كُنْتَ لي عَوْنًا على الدَّهْرِ مَرَّةً فَمَا لي أَرَاكَ اليَوْمَ مُنْثَلِمَ الحَدِّ؟[١]

والجَفْنُ غطاء العين من أعلى وأسفل[٢]، وليس هذا هو المعنى المقصود، إنما يقصد بالجفن العين[٣]، ودليل ذلك ورود الفعل "يكسو " والاسم الواقع مفعولا به "دموعًا"، فالجفن لا يكسو نجاد السيف -أي حمائله- دموعًا، إنما هي العين.

والعلاقة بين الاسم الوارد في السياق الشعري والآخر المنوب عنه واضحة وظاهرة، فاللحظ يصدر من العين، والجفن جزء منها، فالعلاقة بين اللفظين علاقة مكانية.

(٥) "الصَّدَى" بمعنى "الكلام":

يقول:

بَكَيْتُ لَهَا وَلَمْ أفْهَمْ صَدَاهَا وَقَدْ يَبكِي مِنَ الطَّرَب الغريبُ[٤]

وذِكْرُ الصدى بدلا من الكلام يدل على أن الباكية التي يتحدث عنها كان بكاؤها يدوي في الأرجاء، ويقوي هذا أن بكاءها كان بالليل، فهذا أبلغ مما لو قال: لم أفهم كلامها، إذ "الصَّدَى ما يجيبك من صوت الجبل ونَحْوِه بِمِثْل صوتك"[٥].

(٥) "الدجى" بمعنى الليل:

يقول:

---

(١) منثلم: منكسر. الديوان: ١/ ٢٥٥.

(٢) لسان العرب: جفن.ص ٦٤٤.

(٣) انظر شرح البيت بالديوان: ١/ ٢٥٥.

(٤) يريد بالطرب هنا: الخفة التي تصيب الإنسان من شدة الحزن. الديوان: ١/ ١٢٤.

(٥) لسان العرب: صدى. ص ٢٤٢١.

خَلِـيلَيَّ، هَـلْ طَـالَ الـدُّجَى؟ أمْ تَقَيَّـدتُ كَوَاكِبُـهُ، أمْ ضَـلَّ عَـنْ نَهْجِـهِ الغَـدُ[1]

والدُّجَى: "الظلمة"، واحدتها دُجْيَة"[2]، والظلام من سمات الليل، إذن فقد ذَكَرَ جزءًا من مظاهر الليل -وهو الدُّجَى- وَقَصَدَ به الكل -أي الليل- وَذَكَرَ الظلام لأنه يوحش النفوس ويخيف القلوب.

(٧) "الميسُور" بمعنى "القليل":

يقول:

أصُـدُّ عَـنِ المَوْفُـورِ يُدْرِكُـهُ الخَنَـا وأقْنَـعُ بِالمَيْسـورِ يَعْقبُـهُ الحَمْـدُ[3]

"والميسور ضد المعسور"، وهو ما يُسِّرَ"[4] أي ما تيسر وسَهُلَ، وليس هذا هو المعنى المقصود، إنما المقصود بالميسور: القليل اليسير[5].

وعلةُ الإتيان بهذا اللفظ مراعاةُ المشاكلة اللفظية، والمزاوجة بينه وبين لفظ الموفور، وكلاهما بوزن "مفعول" مما يحقق -في النهاية- التطابق الشكلي الكامل بين شطر البيت وَعَجُزِه كما يلي:

أصُـدُّ عَـنِ المَوْفُـورِ يُدْرِكُـهُ الخَنَـا وأقْنَـعُ بِالمَيْسـورِ يَعْقبُـهُ الحَمْـدُ

فكل من الصدر والعجز يتركب من:

فعل مضارع + ضمير مستتر (فاعل) + جار ومجرور + فعل مضارع + ضمير (مفعول به) + فاعل.

(٨) "الغَيْثُ" بمعنى "الغَوْث":

يقول:

فَنَهـارُهُ غَيْـثُ اللْهِيـفِ وَلَيْلُـهُ في طَاعَـةِ الـرَّحْمَنِ لَيْـلُ العُبَّـدِ[6]

---

(١) الدجى: جمع (دجية)، وهي الظلمة، والمراد الليل. الديوان: ١/ ٢٦٣.

(٢) لسان العرب: دجا. ص ١٣٣٢.

(٣) أصد: أنصرف. ويريد بالموفور: المال الكثير. والخنا: الفحش. الديوان: ١/ ٢١٣.

(٤) لسان العرب: يسر. ص ٤٩٥٨.

(٥) انظر شرح البيت بالديوان: ١/ ٢١٣.

(٦) اللهيف: المظلوم المستغيث، والعُبَّد: جمع عابد. الديوان: ١/ ١٨٠.

فالغيث هو "المطر والكلأ"[1] وليس هو المعنى المراد، أما الغيث بمعنى الغوث - وهو النجدة والإعانة- فهو المعنى المقصود[2] والصلة بين اللفظين أن في الغيث نجدة وإنقاذا من المَحْلِ والجَدْبِ.

(٩) "الضمير" بمعنى "القلب":

يقول:

أَبَــى الشَّــوْقُ إلاَّ أنْ يَحِــنَّ ضَــمِيرُ وَكُــلُ مَشُــوق بــالحَنِينِ جَــدِيرُ[3]

فالضمير "السِرُّ وداخل الخاطر"[4]، وهو الشيء الذي تُضْمِرُهُ في قلبك[5]، فالعلاقة بين الضمير والقلب -هنا- علاقة مكانية.

وتأتي الضمائر بمعنى القلوب في قوله:

فَيَــا بُعْــدَ مَــا بَيْنِــي وبَــيْنَ أحِبَّتِــي! وَيَــا قُــرْبَ مَــا التَفَّــتْ عَلَيْــهِ الضَّــمَائِرُ[6]

أي: يا قرب ما التفت عليه القلوب[7].

(١٠) "الرؤيا" بمعنى "الرؤية":

يقول:

لَــيْسَ فِــيهِمْ مَــنْ تَحْمَــدُ العَــيْنُ رُؤيَــا هُ، وَلاَ مِــنْهُمُ إلى الــنَّفْس خِــلُّ[8]

أي، ليس فيهم من تحمدُ العينُ رؤيتَهُ.

والرؤية هي "النظر بالعين والقلب"[9]، و "الرؤيا: ما رأيتَهُ في منامك"[10].

---

(١) لسان العرب: غيث. ص ٣٣٢٣.

(٢) انظر شرح البيت بالديوان: ١/ ١٨٠.

(٣) يحن: يشتاق. ومشوق: مشتاق. وجدير: مستحق. الديوان: ٢/ ١٨.

(٤) لسان العرب: ضمير. ص ٢٦٠٦.

(٥) السابق: ضمير. ص ٢٦٠٦، ٢٦٠٧.

(٦) (يا) في شطري البيت للتنبيه والتعجب. و (ما التفت عليه الضمائر)، أي: ما تضمره القلوب. الديوان: ٢/ ٨٥.

(٧) انظر شرح البيت بالموضع السابق.

(٨) ليس فيهم: ليس في بيت المهجو. والخِل: الصديق المخلص، ويستوي فيه الذكر والمؤنث، والجمع أخلال. الديوان: ٣/ ٢٤١.

(٩) لسان العرب: رأى. ص ١٥٣٧.

(١٠) السابق: رأي. ص ١٥٤٠.

وثمة علاقة بين اللفظين من حيث دلالتهما على المشاهدة، إلا أن المعنى في الأول يشير إلى حدوثها في اليقظة، ويدل في الثاني على وقوعها في الحُلْم.

(١١) "الوَجْد" بمعنى "الوُجُود"، و "الإعدام" بمعنى "العَدَم":

يقول:

فيَا بْنَ مَنْ تَزْدَرِيه النَّفْسُ مِنْ ضَعَةٍ فَمَا يُحَسُّ لَهُ وَجْدٌ وإعْدَامُ[١]

فالوَجَد في السياق السابق بمعنى الوجود، كما أن الإعدام -هنا- بمعنى العَدَم[٢]، فالعَدَم هو اللاوجود.

والإعدام يعني الافتقار[٣]، والعَدَم معناه فقدان الشيء وذهابه[٤]، أي أن اللفظين يشيران إلى الفناء والزوال.

ويتضح من هذه المواضع التي ناب فيها الاسمُ عن نظير له ارتباطُ الشاعر الوثيق بالتراث الشعري وثقافته العربية الأصيلة، فالألفاظ إما مستمدة من البيئة البدوية القديمة، كما في "الدجى"، "الصدى" و "الغيث"، وإما نابعة من مواقف الحب والغرام التقليدية التي جرى عليها الشعراء مثل "المدمع" و "اللحظ" و "الضمير" و"الجفن".

أما العلاقة بين الألفاظ الواردة في السياق والأخرى المنوب عنها فيمكن تقسيمها إلى ما يلي:

(١) قد تكون العلاقة بين اللفظين -الوارد والمراد- مكانية، كما في "المدمع" بمعنى "الدمع"، فاسم المكان "المدمع" يرد في السياق بمعنى الاسم ذاته.

(٢) اللفظ المذكور أبلغ من مثيله المقصود، كما في "الصدى" بمعنى "الكلام"، وإن كان حدوث الأول -في الحقيقة- تاليا لوقوع الثاني.

(٣) قد تكون المشابهة بين اللفظ المذكور والآخر المراد راجعة إلى أن المعنى المقصود كائن في ثنايا اللفظ المذكور في السياق، ويبرز ذلك "الغيث" بمعنى "الغوث"،

---

(١) تزدريه: تحتقره. و (من) تعليلية. والضعة: المهانة. الديوان: ٣/٤٧٣.

(٢) انظر شرح البيت بالموضع السابق.

(٣) لسان العرب: عدم. ص٢٨٤٢.

(٤) السابق. عدم. ص ٢٨٤٢.

فكلاهما يشير إلى معنى النجدة والإنقاذ، و"الإعدام" بمعنى "العَدَم" فالمعنى فيهما يدل على الزوال والفناء.

(٤) أن اللجوء إلى لفظ بدلًا من لفظ آخر قد يأتي لتحقيق التجانس بين ألفاظ البيت والمزاوجة بين شَطْريه.

ثالثًا: التناوب بين المصادر:

أ - مجيء المصدر نائبًا عن مصدر الفعل المذكور:

ويقصد به أن ينوبَ المصدرُ المذكور في السياق عن مصدر الفعل الوارد في البيت، أي أن يأتي مفعول مطلق مرادفًا لمصدر آخر.

وقد وردت هذه الظاهرة في أربعة مواضع:

يقول:

(١) يَلُومُونَنِي أنْ هِمْتُ وَجْدًا بِحُسنِهَا وأيُّ امرئ بِالحُسْنِ لَيْسَ يَهِيمُ[١]؟

فقد ناب المصدر "وَجْدًا" عن مصدر الفعل "هام" وهو "هَيْمًا"[٢]. والفعلان "وَجَدَ" و"هام" بينهما صلة وثيقة، فالوَجْدُ هو شدة الحب[٣]، والهُيام هو الجنون من العشق[٤]، وبدهي أنه لا يحدث إلا بعد حب شديد.

وليس أدل على قوة العلاقة بين الفعلين –ومن ثم بين المصدرين– من أنه يقال رجلٌ "هيمانُ" أي محبٌ شديدُ الوَجْدِ[٥]. فالهُيام والوَجْد من حقل دلالي واحد ولكن بينهما درجات متفاوتة.

(٢) بَخِلْتِ عَلَيْنَا بِالسَّلاَم ضَنَانَةً وَجَدُّكِ مَطْرُوقُ الفِنَاءِ كَرِيمُ[٦]

إذا ناب المصدر "ضنانة" عن مصدر الفعل "بَخِلَ".

---

(١) هام: أحب. ووجدا: حبا. الديوان: ٣/ ٥١٠.

(٢) للفعل (هام) عدة مصادر، إذ يقال: هام بها هَيْمًا وهُيُوما وهُياما وتَهْيامًا. انظر: لسان العرب: هيم. ص ٤٧٣٩.

(٣) السابق: وجد. ص ٤٧٧٠.

(٤) السابق: هيم. ص ٤٧٣٩.

(٥) السابق: هيم. ص ٤٧٤٠.

(٦) ضنانة: بخلا شديدا. والجد: أبو الأب وأبو الأم. والفناء: الساحة. ومطروق الفناء: كناية عن كرمه. الديوان: ٣/ ٥١٢.

وثمة صلة قوية بين "الضنانة" و "البُخْل"[1]، فالضنين هو البخيل[2]، إلا أن المعنى الكائن في المصدر "ضنانة" أقوى مما في مصدر الفعل "بخل"، فالضَّنُّ هو "الشيء النفيس المضنون به"[3]، فهو "ما تختصُه وتضنُّ به، أي تبخلُ لمكانه منك وموقعه عندك"[4].

ولذا نقول إن المحبوبة قد ضَنَّت بالسلام، لأن سلامها شيء نفيس لا تجود به إلا على من تشاء.

(٣) ..... نَظَـــــــــرْتُ ....

إلى نِسْـــوَةٍ مِثْـــلِ الجُـــمَانِ تَنَاسَـــقَتْ فَرَائِـــدُهُ حُسْـــنًا، وأَلَّفَـــهُ الشَّـــمْلُ[5]

أي تناسقت فرائده تناسقًا، فناب المصدر "حسنًا" عن مصدر الفعل "تَنَاسَقَ"، حيث إنَّ تناسُق عِقْد اللؤلؤ يعني انتظام حباته في شكل واحد ونظام موحد[6]، وبه شُبه هؤلاء النسوة الفاتنات.

والتناسق في أي شيء لابد أن يَتْبَعَهُ "حُسْنٌ" فيه. و "الحُسْنُ ضِدُّ القُبْح ونقيضُه"[7]. ومن الأَوْلَى أن يكون هذا الحُسْنُ سِمةً في هؤلاء الحسان.

(٤) رَأي مُقْلَتِـــي تَرْعَـــى رِيَـــاضَ جَمَالِـــه فَعَاقَبَهَـــا حَـــدَّيْنِ: بِالسُّـــهْدِ والـــدَّمْعِ[8]

إذا ناب المفعول المطلق "حدين" عن مصدر الفعل "عاقب"[9]. والحَدُّ هو ما يمنع المُذْنِبَ عن المعاودة[10]، فكأن الحب ذنب حده السهد والدمع، أي هما عقاب للمحب.

---

(١) في (البخل) لغات أربع: البُخْل، والبُخُل، والبَخْل. والبَخَل. انظر لسان العرب: بخل. ص ٢٢٢ .

(٢) السابق: ضنن. ص ٢٦١٤.

(٣) السابق" ضنن. ص ٢٦١٤.

(٤) لسابق: ضنن. ص ٢٦١٤.

(٥) الجمان: الدر أو اللؤلؤ، الواحدة: جُمانة. وفرائده: فرائد الجمان، أي وحداته. وألفه: جمعه ونظمه. الديوان: ٣/ ٤٦.

(٦) لسان العرب: نسق. ص ٤٤١٢.

(٧) السابق: حسن. ص٨٧٧.

(٨) المقلة: شحمة العين التي تجمع بياضها وسوادها. ورياض جماله: جماله الشبيه بالرياض. والسهد: السهر والأرق. الديوان: ٢/ ٢٣٦.

(٩) انظر شرح البيت بالموضع السابق.

(١٠) لسان العرب: حدد. ص ٧٩٩.

ومن الملاحظ أن هذه المصادر المنصوبة قد يمكن تأويل بعضها على النصب على التمييز أو المفعول له أيضًا.

ب - مجيء المصدر نائبًا عن الحال:

يقول:

تَـدُورُ مَـدَارَ الطَّـوْقِ مِـنْ حَيْـثُ تَلْتقِـي مَسـيرًا، وَتَنْسَـلُّ انْسِـلاَلَ الأَرَاقِـمِ[1]

والمعنى في قوله: "تلتقي مسيرًا" أنها، أي الجداول، تتلاقى سائرة[2]، باعتبار المصدر "مسيرًا" حالًا.

والصلة أن الحال المنوب عنه "سائرة" اسم فاعل من الفعل "سار".

وقد جاز أن يَرِدَ المصدرُ نائبًا عن الحال، إذ "من المصادر ما يقع في موقع الحال فيسد مسده، فيكون حالًا، لأنه قد ناب عن اسم الفاعل وأغنى غَناءه"[3].

جـ - مجيء المصدر نائبًا عن الصفة:

يقول:

تَـرُوحُ وَتَغْـدُو بَـيْنَ أَفْنَـانِ دَوْحَـةٍ سَـقَاهَا مِـنَ الوَسْـمِيِّ مُسْـتَوْكَفٌ غَـزْرُ[4]

إذ "غَزْر" مصدر للفعل "غَزُرَ"[5]، وجاء هنا بمعنى "غزير"[6]. والوصف بالمصدر -هنا- للتأكيد والمبالغة.

ويظهر من خلال ظاهرة التناوب بين المصادر وجودُ صلة قوية بين المصدر المذكور وما هو منوب عنه سواء أكان مصدرًا أم حالًا أم صفة.

---

(١) مدار: مصدر ميمي بمعنى الدوران. والمسير: السير.وتنسل: تنطلق في هدوء. والأراقم جمع الأرقم: وهو الحية فيها سواد وبياض. الديوان: ٣ / ٣٤٢.

(٢) انظر شرح البيت بالموضع السابق.

(٣) المقتضب للمبرد: ٣/ ٢٤٣.

(٤) تروح وتعدو: تتردد جيئة وذهاباً. والأفنان: الأغصان، واحداها (فَنَنَ) والدوحة: الشجرة العظيمة. والوسمى: مطر الربيع الأول. ومستوكف: غزير. وغزر: مصدر غَزُرَ الشيء أي كثر. الديوان: ٢/٦٤.

(٥) يقال: غَزُرَ يغزوُ غَزَارَة وغَزْرا وغُزْرا. لسان العرب: غزر. ص ٣٢٥١.

(٦) انظر شرح البيت بالديوان: ٢/ ٦٤.

أما الإنابة عن مصدر الفعل المذكور في السياق فقد تكون بسبب العلاقة الوثيقة بين الفعل المذكور وفعل المصدر الوارد، ومن ثَم بين مصدريهما، بحيث يصلح أحدهما للإنابة عن الآخر كما في "همت وجدا".

وقد يَرِدُ المصدر النائب عن مصدر آخر لأنه أكثر دلالة على المعنى المراد، من حيث إنه يضيف إلى السياق دلالات جديدة، كما في "بخلت ضنانة" و "تناسقت حسنا".

وقد يكون المصدر المذكور بنفس معنى المصدر المنوب عنه، كما في "فعاقبها حدين".

ويأتي المصدر نائبًا عن الحال، لأنه يؤدي دوره ويسد مسده، ويجئ كذلك نائبًا عن الصفة للتأكيد والمبالغة.

رابعًا: التناوب بين الحروف:

تتميز الحروف في الديوان بكثرتها العددية وتنوع استخدامها، وهذه الكثرة وهذا التنوع يدلان على الثراء اللغوي عند الشاعر. والتناوب بين الحروف يشير إلى مدى القدرة على تطويع الحرف بحيث يأتي بديلًا عن حرف آخر دون إخلال بالمعنى المراد، وقد تحدث إضافة دلالات جديدة إلى هذا المعنى.

وقد نبه ابن هشام إلى أن هناك أمورًا اشتُهِرَتْ بين المعربين والصواب خلافها، من ذلك قولهم إن بعض حروف الجر ينوب عن بعض[1]. "فيرى أن الحرف باق على معناه وأن العامل ضمن معنى عامل يتعدى بذلك الحرف، لأن التجوز في الفعل أسهل منه في الحرف"[2].

ونرى أن في هذا مشقة في التضمين والتأويل، فإنه لا مانع في المجال الشعري من التجوز في الحرف، أستنادا إلى أن وجود حرف بديل عن حرف آخر في السياق قد يؤدي إلى حضور معنيين: المعنى المفهوم من وجود الحرف المذكور، والمعنى المتخيل بافتراض الحرف المقصود. ولعل ذلك يتضح فيما يلي:

---

(١) مغني اللبيب: ٢/ ١٨٠.

(٢) السابق: ٢/ ١٨٠.

أولًا: الحروف الأحادية البناء:

(أ) الباء:

"الباء المفردة حرف جر لأربعة عشر معنى"[1]، كما أحصاها ابن هشام في مغني اللبيب، وقد ورد نائبًا عن غيره في خمس حالات في ديوان البارودي هي:

١ - ورد الباء بمعنى "مع":

يقول:

فَمَا رَوْضَةٌ غَنَّاءُ بَاكَرَهَا الحَيَا ... بِأَوْطَفَ سَاجٍ، أَشْعَلِ البَرْقِ سَاجِمِ

بِأَلْطَفَ مِنْ أَخْلاَقِهِمْ وَصِفَاتِهِمْ ..... [2]

أي باكرها الحَيَا مع أوطف ساج، أي سحاب أوطف بمعنى قريب من الأرض[3].

وذِكْرُ الباء بدلا من "مع" يبرز معنى الارتباط بين الحيا (المطر) والسحاب. ووضعُ "مع" بدلا من "الباء" يُظهرُ أن ثمة مصاحبة بينهما.

فالمعنى المفهوم -وفقًا للحرف المذكور- هو الإلصاق والارتباط، والمعنى المتخيل - بوجود"مع"- هو المصاحبة.

ب - ورود الباء بمعنى "عَلَى" الاستعلائية:

يقول:

لَوَيْتُ بِهِ كَفِّي، وأَطْلَقْتُ سَاعِدِي ... وَقَلْتُ لِدَهْرِي: وَيْكَ فَامْضِ عَلَى رِسْلِ[4]

والمعنى الظاهر من السياق: لويت بالنصل كفي[5]، أي الاحتواء والضم، والمعنى المتخيَّل: لويت كفى على النصل، أي أمسكته بقوة.

---

(١) السابق: ١/ ٩٥.

(٢) ما: نافية. والروضة: البستان. وغَنَّاء: كثيرة الشجر. وساج: ساكن. والبرق الأشعل. المحمر، دلالة على غزارة السحاب. وساجم: منصبّ المطر، اسم فاعل من سجم المطر (من باب دخل) أي سال. الديوان: ٣/ ٣١٠، ٣١٢.

(٣) انظر شرح البيت بالموضع السابق.

(٤) الساعد: الذراع. و (وي): كلمة تعجب. والرِسْل: التمهل والتأني. الديوان: ٣/ ٩١.

(٥) انظر شرح البيت بالموضع السابق.

جـ - ورود الباء بمعنى "مِنْ" التي للتبعيض:

يقول:

كَيْـفَ لاَ تَهْتِـفُ الحَـمَامُ عَلَيْـهِ وهْـيَ تُسْـقَى بـه سُـلاَفَةَ قَنْـدِ[1]

أي تُسقى منه ... أي من النيل.

والمعنى في "تسقى به" أن ثمة مساعدة من النيل ومعاونة منه في سقي الحمام، وفي تُسقى منه ... دلالة على أن هذه السلافة - وهي أفضل الخمر - هي بعض ما في هذا النيل.

د - ورود الباء بمعنى "في" الظرفية:

يقول:

شِـعْرٌ جَمَعْـتُ بـه ضُرُوبَ مَحَاسـن لَمْ تَجْتَمِـعْ قـبْلِي لِحَـيٍّ مُلْهَـم[2]

فالمعني على وجود الباء أن شعره هو سبب وجود هذه المحاسن، وعلى تقدير "في" أنه قد جمع في شعره محاسن لم تجتمع لشاعر غيره.

هـ - ورود الباء بمعنى "عِنْدَ":

يقول:

وبي مِـن صِـمِيم العُـرْبِ حـوْرَاءُ طَفْلَـةٌ نحِيلـةُ مَجْـرَى البَنْـدِ، رَيَّـا المَعَاصِـم[3]

يريد ... وعندي حوراء طفلة ...

والمعنى الظاهر من البيت أن هذه المحبوبة ملاصقة له، فهي جزء منه، والآخر المتخيل يوحي بالامتلاك والاستئثار.

(٢) الفاء:

ورود الفاء بمعنى واو العطف:

يقول:

---

(١) السلافة: أفضل الخمر. والقَنْد: عسل قصب السكر إذا جمد. الديوان: ١/ ٢٦١.

(٢) يريد بالحي: الإنسان أو الشاعر. وملهم: موفق موهوب. الديوان: ٣/ ٤٩٦.

(٣) الصميم: الخالص. والعُرْب: لغة في العَرَب. وحوراء: صفة من الحَوَر، وهو أن يشتد سواد سواد العين وبياض بياضها. وطفلة: ناعمة لينة. ومجرى البند: مكان الحزام. وريَّا: ممتلئة. والمعاصم جمع المعصم، وهو موضع السوار من اليد. الديوان: ٣/ ٤٢٤.

قَفَــا بِي قَلِــيلًا، وانظُــرَا بِيَ، أشْــتَفِى بَلَــثْم الحَصَــى بَــيْنَ اللِّــوَى فَالنَّعَــائِمِ[1]

يريد "بين اللوى والنعائم"[2].

والمعنى على وجود "الفاء" فيه إسراع إلى تقبيل منازل الحبيبة ولهفة إلى ذلك. وعلى تقدير "الواو "يعني الرغبة في لثم حصى ديار الهوى دونما تمييز بينها.

(٣) اللام:

أ - ورود اللام بمعنى "إلى" الجارة:

يقول:

تَسَــابَقْ فِي المَكَــارِمِ تَعــلُ قَــدْرًا فَسَــبْقُ النَّــاسِ لِلخَــيْرَاتِ نَضْــلُ[3]

وعلى وجود "اللام" فالمعنى أن سبق الناس في المكارم هو للخيرات نضل أي غلبة لها وإعلاء لشأنها، وعلى تقدير "إلى" يكون المعنى أن سبقك الناس إلى الخيرات فوز لك ونصر.

ب - ورود اللام بمعنى "عَلَى" الاستعلانية:

يقول:

نَحْــنُ فِي الحُــبِّ سَــوَاءٌ كُلنَــا يَبْكِــي لِغُصــنِ[4]

والمعنى "الظاهر": كلنا -أي هو والحمامة- يبكي للغصن حتى يرق لنا ويشاركنا همومنا. والمعنى المتخيَّل: أننا نبكي ونحن على الغصن.

جـ - وورد اللام بمعنى "مِنْ" التي للتبعيض:

يقول:

---

(١) انظر: انتظر. اشتفى بكذا: نال به الشفاء. واللثم: التقبيل. واللوى: ما التوى من الرمل وانعطف. والنعائم: أعلام مرفوعة يهتدي بها في الصحاري. الديوان: ٣/ ٢٩٥.

(٢) انظر شرح البيت بالموضع السابق. وقد قال بعضهم إن "الفاء لا تفيد الترتيب في البقاع ولا في الأمطار". مغني اللبيب: ١/ ١٣٩.

(٣) تسابق: أمكر من التسابق. والمكارم: جمع مَكْرُمَة، وهي فعل الكرم. والنضل هنا: الفوز. الديوان: ٣/ ٢١٦.

(٤) يقال: هما سواء في الأمر، أي متساويان. الديوان: ٤/ ١٤١.

فَـمَا مَضَـتْ سَـاعَةٌ، أَوْ بَعْـضُ ثَانِيَـةٍ إلاَّ وللصَّـيْدِ فِي سَـاحَاتِنَا نُـزُلُ[1]

وعلى وجود اللام في "للصيد في ساحتنا نزل" فالمعنى أن ما صدناه كان له في دُورنا منزل ومستقر، وعلى تقدير "من" يكون المعنى أنه كان مما صدناه طعام وفير وخير كثير[2].

د – ورود اللام بمعنى "في" الظرفية:

يقول عن الخمر:

لَعِـبَ الزَّمَـانُ بهـا، فَغَـادَرَ جِسْـمَهَا شَـبَحًا تَحَـارُ لِدَرْكِـهِ الأفْهَـامُ[3]

فثمة معنيان: الأول أن حيرة هذه العقول مردها أنها تحاول معرفة الحقيقة .. والثاني أن هذه العقول حائرة في إدراك هذه الحقيقة.

ثانيًا: الحروف الثنائية البناء:

(١) إنْ:

أ – ورود "إنْ" بمعنى "قَدْ" التي للتحقيق:

يقول:

والنَّـاسُ شَـتَّى وإنْ هُـمُ اجْتَمَعُـوا في وَاحِـدٍ لَـيْسَ قَبْلَـهُ أحَـدُ[4]

إذْ المقصود "بالواحد الذي ليس قبله أحد"، آدم عليه السلام، وبذا لا تكون "إنْ" –في هذه الحال– إلا بمعنى قد. ويكون التقدير، "والناس شتى وقد اجتمعوا في واحد...".

ويقول:

رَضِـيتُ مـن الـدُّنْيا وإن كُنْـتُ مُثْرِيًـا بِعِفَـةِ نَفْـسٍ لاَ تَمِيـلُ إلى الـوَفْرِ[5]

---

(١) الساحات: جمع ساحة: وهي المكان الواسع. والنُّزُل: المنزل، أو الطعام الكثير. الديوان: ٣/ ١٦٦.

(٢) انظر شرح البيت بالموضع السابق.

(٣) لعب الزمان بها: كناية عن تعتيق الخمر. وشبح الشيء: خياله وظله. وحار يحار: لم يهتد إليه. ولدركه: من أجل إدراكه. الديوان: ٣/ ٣٢٤.

(٤) شَتَّى: متفرقون، جمع شتيت. الديوان: ١/ ٢٨٦.

(٥) الوفر: المال الكثير. الديوان: ٢/ ١٤.

فهذا البيت من قصيدة نظمها في منفاه بسرنديب، يؤكد فيه -من خلال التركيب المبدوء بـ "إنْ"- أنه كان مثريا أي غنيا، فالمعنى "رضيت من الدنيا وقد كنت مثريًا....

ب - ورود "إنْ" بمعنى "لو" الشرطية:

والفرق بين "إنْ" و "لَوْ" -وهما أداتا شرط- أن "إنْ" تتسم بسمتين أساسيتين:

الأولى: أنها تفيد الشك، أي تفتقر إلى التأكيد.

والأخرى: أنها تأتي للاستقبال، أي لعقد السببية والمسببية في المستقبل"[1].

أما "لَوْ" فهي تأتي للماضي، وتفيد "تقييد الشرطية بالزمن الماضي"[2]، كما أنها "تكون حرف شرط للمستقبل"[3]، إلا أنَّ المضي فيها أوضح من الاستقبال" فهي "شرط للماضي غالبًا"[4].

ومن أمثلة ورود "إنْ" بمعنى "لَوْ" قوله:

قَــدْ يَرْفَــعُ العِلــمُ أقْوامــاً وإنْ تَرِبُــوا ويَخْفِــضُ الجَهْــلُ أقْوامــاً وإنْ خَزَنُــوا[5]

أي: ولو تربوا .... ولو خزنوا.

وقوله:

دَعُ المَخَافَــةَ، واعْلَــمْ أنَّ صَــاحِبَهَا وإن تَحَصَّــنَ لاَ يَنْجُــو مِــنَ الغِيَــل[6]

أي .. ولو تحصن ..

وقد وردت "إنْ" بمعناها الشرطي الحقيقي في ثلاثة وتسعين ومائتي بيت... وجاءت بمعنى "قَدْ" في واحد وثلاثين بيتًا، وبمعنى "لَوْ" في ثلاثين بيتًا في الديوان. ونخلص من هذا إلى حقيقتين:

---

(١) مغني اللبيب: ١ / ٢٨٦.

(٢) السابق: ١/ ٢٠٥.

(٣) السابق: ١ / ٢٠٨.

(٤) همع الهوامع: ٢/ ٦٤.

(٥) تربوا: افتقروا. وخزن المال: أحرزه وجمعه، والفعل من باب (نصر). الديوان: ٤/ ٣٦.

(٦) المخافة: الخوف، والغيل: جمع غِيلَة: اسم من الاغتيال. الديوان: ٣/ ٢٢٨.

الأولى: وهي خاصة، تتمثل في تَمَسُّك "إنْ" -في الديوان- بشرطيتها وبمعناها الأصلي.

والأخرى: وهي عامة، خلاصتها أنه ليس كل تركيب يحوي في سياقه الأداة "إن" يعد تركيبًا شرطيا"، إذ الشرطية تعني تعليق معنى على آخر، أو حدث على غيره[1].

(٢) أو:

أ - ورود "أو" بمعنى واو العطف:

يقول:

فَيَا قَلْبُ صَبْرًا إنْ أَلَمَّ بِكَ النَّوَى فَكُلُّ فِرَاقٍ أوْ تَلاَقٍ لَهُ حَدُّ[2]

وعلى وجود "أَوْ" بمعناها الأصلي فثمة إبهام في المعنى: هل الحد للفراق أم للتلاقي.. أما عند تقدير "الواو" فالمعنى -حينئذ- أن كلا من الفراق والتلاقي له حد.

ب - ورود "أو" بمعنى "حتى":

يقول:

فَلاَ تَبْرَحُوا أوْ تَسْأَلُوهَا، فَرُبَّمَا أعَادَتْهُ، أو جَاءَت بِوَعْدٍ مُقَارِبِ[3]

والمعنى الظاهري التخيير بين أمرين، والآخر تعليق الأمر الأول على حدوث الأمر الثاني، أي: فلا تبرحوا حتى تسألوها[4].

(٣) ما:

ورود "ما" بمعنى "من" الموصولة:

يقول:

لقد عَلِقَتْ ما ليس لِلنَّفْس دُونَهَا غَنَاءٌ، ولا مِنْهَا لِذي صَبْوَةٍ وصْلُ[5]

---

(١) انظر فتح الله سليمان: الجملة الشرطية في شعر البارودي. رسالة ماجستير مقدمة لقسم اللغة الغربية بآداب القاهرة، (١٩٨٢م). ص٤، ٩.

(٢) ألم: نزل. والنوى: البعد، وهي مؤنثة. الديوان: ١/ ٢١١.

(٣) الديوان: ١/ ١٠٧.

(٤) في هذه الحالة "تضمر مع أَوْ (أنْ)، وذلك إذا كان معناها معنى (حتى). معاني الحروف للرماني ص ٧٩. كما يكون الفعل المضارع الواقع بعد (أو) منصوبا بأنْ المضمرة. انظر: مغنى اللبيب: ١/ ٦٤.

(٥) علقت: أحبت. ودون بمعنى غير. وغناء: استغناء. والصبوة: الشوق. والوصل: ضد القطيعة. الديوان: ٣/ ٤٨.

و "ما" باعتبارها اسمًا موصولًا - تأتي لغير العاقل، وقد وردت في الموضع السابق للعاقل.

والمعنى على وجود "ما" بمعناها الأصلي يفيد التعمية على هذه الحبيبة .. وبمعنى "التي" فيه تصريح بهواه.

(٤) عن:

أ - ورود "عن" بمعنى "مِنْ" الجارة:

يقول:

مَضَى زَمَنٌ لَمْ يأْتِنِي عَنْكَ قَادِمٌ بِبُشْرَى، وَلَمْ يَعْطِفْ عَلَيَّ بَرِيدُ[١]

وعلى وجود "عَنْ" بمعناها يكون المعنى: لم يأتني قادمٌ ينوب عنك ويطمئني ببشرى.. وبتقدير "مِنْ" لم يأتني رسولٌ منك .. ففي الأول إنابة، وفي الثاني حضورُ رسول فحسب.

ب - ورود "عن" بمعنى "الباء" الجارة":

سَلْ مِصْرَ عَنِّي إنْ جَهِلْتَ مَكَانَتِي تُخْبِرْكَ عَنْ شَرَفٍ وَعِزٍّ أقْدَمِ[٢]

وثمة معنيان: الأول أن مصر تحكي لك -إنْ سألتها - عن الشرف والعز .. والآخر: أنك أن جهلت مكانتي وسألت مصر عني فهي تخبرك بأمري، ثم تتجاوز ذلك إلى إخبارك بالشرف والعز الأقدم.

(٥) مِنْ:

أ - ورود "مِنْ" بمعنى "أَمْ" الاستفهامية":

يقول:

أَدُورُ، وَلاَ أدْرِي وإنْ كُنْتُ حَازماً يَمينِيَ أدْنَى لِلْهُدَى مِنْ شِمَالِيَا[٣]

أي "لا أدري ... يميني أدنى للهدى أم شماليا[٤].

---

(١) البشرى: ما يُبَشَّر به. ويعطف: يميل. والبريد: الرسول. الديوان: ١/ ٢٢٠.

(٢) الشرف: المجد. والعز: القوة والمنعة. والأقدم: القديم. الديوان: ٣/ ٤٨٨.

(٣) الشِّمال: خلاف اليمين. الديوان: ٤/ ٢٢١.

(٤) انظر شرح البيت بالموضع السابق.

وقد يكون هناك حذف لأداة الاستفهام في عَجُز البيت، وتكون مِنْ -في هذه الحالة- واردة للفصل، إذ إنها دخلت على ثاني المتضادين[1]، والمعنى على هذا، لا أدري أيميني أدنى للهدى من شماليا.

ب - ورود "من" بمعنى "عن" التي للمجاورة:

يقول:

أَنَــا الَّــذِي عَــرفَ الأيَّــامَ، وَانْكَشَــفَتْ لَــهُ سرائرهــا مِــنْ كُــلِّ مُخْتَــزَنِ[2]

والمعنى - على بقاء "مِنْ" بمعناها الأصلي - أن ما اكتُشِفَ من المختزنات يبين هذه السرائر ويوضحها .. وبتقدير "عَنْ" فالمعنى أن سرائر الأيام قد انكشفت عن كل ما تحتها من الخفايا والمختزنات[3].

جـ - ورود "مِنْ" بمعنى "في" الظرفية":

يقول:

فَلــمْ يَبْــقَ مِــنْ كَلْــبٍ عَقُــورٍ وَكَلْبَــةٍ مِــنَ الحَــيِّ إلاَّ جَــاء بِــالعَمِّ والخَــالِ[4]

فـ "مِنْ" في عَجُز البيت -وهي المعنية هنا- إذا كانت بمعناها الأصلي فهي تفيد الانتساب، أي انتساب هذه الكلاب إلى هذا الحي .. وإذا كانت بمعنى "في" أفادت الشمول والاستغراق" أي انطباق الحُكْم في البيت على كل كلاب الحي.

(٦) في:

أ - ورود "في" بمعنى "مع":

يقول:

ذكَــاءُ "أرِسْــطَالِيسَ" في حِلْــم "أحْنَــفٍ" وَهِمَّــةُ "عَمْــرٍو" في سَــمَاحةِ حَــاتِمِ[5]

---

(١) مغنى اللبيب: ٢/ ١٦.

(٢) السرائر: جمع السريرة وهي السر الذي يكتم. الديوان: ٤/٧٩.

(٣) انظر شرح البيت بالموضع السابق.

(٤) عقور: صيغة مبالغة من عقره (من باب ضرب)، أي عَضَّه. ومن الحي: من كلاب الحي. الديوان: ٣/ ٢٥١.

(٥) أرسطاليس: أرسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق. م)، هو فيلسوف يوناني. وأحنف: هو الأحنف بن قيس (٣ق. هـ - ٦٧ هـ) سيد بني تميم. وعمرو: هو عمرو بن معدي كرب فارس اليمن (ت٢١ هـ). وحاتم: هو حاتم الطائي، فارس شاعر، من أجواد العرب في الجاهلية (ت ٤٥ق. هـ). الديوان: ٣/ ٢٩٩، ٣٠٠.

وعلى وجود"في" بمعناها الأصلي فالمعنى أن حِلْم الممدوح يشبه حِلْم أحنف، وهمته تماثل همة عمرو، وسماحته مناظرة لسماحة حاتم. وعلى اعتبارها بمعنى "مع"[١]، فالمعنى أن الممدوح يجمع في شخصيته كل هذه الصفات مجتمعة دونما فصل بين صفة وأخرى، فالصفات في المعنى الأول متفرقة، وفي الثاني متحدة.

ب – ورود "في" بمعنى "على" الاستعلائية:

يقول:

وبـــوَارِقٌ تَنْهَـــلُّ فِينَـــا بالنَّـــدَى وصَـــواعِقٌ تَـــنْقَضُّ فِي الأعْـــدَاءِ[٢]

والمعنى على بقاء "في" في شطري البيت فيه استغراق .. وعلى تقدير "عَلَى" فيه استعلاء.

جـ – ورود "في" بمعنى "مِنْ" التي للتبعيض:

يقول:

هَجَـــرْتُ لَهَـــا أهْـــلي، وفَارقْـــتُ جِـــيرَتي وَغَاضَـــبْتُ فِي الخُـــلاَّنِ مَـــنْ كَـــانَ رَاضِـــيا[٣]

أي: وغاضبت فيهم رضاءهم .. أو وغاضبت منهم من كان راضيًا[٤].

د – ورود "في" بمعنى "لام" الجر:

يقول:

فَفِـــيمَ يَخَـــافُ المَـــرْءُ سَـــوْرَةَ يَوْمِـــهِ وفي غَـــدِه مَـــا لَـــيْسَ مِـــنْ وقَعِـــهِ بُـــدُّ[٥]

أي: في أي شيء يكون خوف المرء؟ أَوْ لِمَ يخاف هذا المرء؟

ففي الأول سؤال عن مكمن الخوف .. وفي الثاني استفهام عن سببه.

هـ – ورود "في" بمعنى "إلى" الجارَّة:

---

(١) انظر شرح البيت بالموضع السابق.

(٢) البوارق: جمع بارق، وهو سحاب ذو برق. وتنهل: تنصب انصباباً شديداً. ويراد بالندى هنا: الخير. وتنقض: تسقط. الديوان: ١/ ٧١.

(٣) لها: للنظرة. والجيرة: الجيران. والخُلان: جمع الخليل: وهو الصديق. الديوان: ٤/ ٢٢٠.

(٤) انظر شرح البيت بالموضع السابق.

(٥) السورة: الغضب والشدة. الديوان: ١/ ٢١٨.

يقول:

قَـدْ حَبَّـبَ المَـوْتَ كُـرْهُ الضَّـيْمِ في نَفَـرٍ لَـوْلاَهُمُ لَمْ تَـدُمْ في العَـالَمِ النِّعَمُ[1]

فإبقاء "في" يجعل في المعنى شمولًا واستغراقًا، فهؤلاء الأباة قد أحبوا الموت كلهم.. وبتقدير "إلى" يصير المعنى فيه جَلْبٌ، فكُرهُ الضيم هو الذي جَلَبَ حُبَّ الموت إلى هؤلاء الأحرار.

و - ورود "في" بمعنى "الباء" الجارة:

يقول:

لَـهُ بِـالفَلاَ شُـغْلٌ عَـنِ المُـدْنِ والقُـرَى وفِي رائـدَاتِ الخَيْـل شُـغْلٌ عَـنِ الأهْـلِ[2]

والمعنى على وجود "في": أن "الشغل عن الأهل" سمة من سمات "رائدات الخيل" وهي حياة المقامرة، وبتقدير الباء فالمعنى: أن شغله عن الأهل مرتبط برائدات الخيل.

(٧) لم:

ورود "لَمْ" بمعنى "لا" النافية:

يقول:

فَثِقِـي بِـمَا تُمْلِيـهِ أَلسِـنَةُ الهَـوَى وَهْـيَ الـدُّمُوعُ، فَحَقُّهَـا لَمْ يُـدْفَع

لاَ تَحْسَـبِي قَـوْلِي خَدِيعَـةَ مَـاكِرٍ إنَّ الـوِفَّ بِعَهْـدِهِ لَمْ يَخْـدَع[3]

أي "لا يدفع" و "لا يخدع"[4].

ولو استبدل "لا" بـ "لم" لأصبح الفعلان مرفوعين، مما يؤدي إلى الإقواء[5].

(٨) استعمال "يَا" لنداء القريب:

حرف النداء "يَا" يستخدم لنداء البعيد، وقد نُودي به القريب في قوله:

---

(١) الضيم: الظلم، وضامه أي ظلمه، من باب (باع). الديوان: ٣/ ٥٣٩.

(٢) الفلا: الفلوات، الواحدة فلاة، وهي الصحراء. الديوان: ٣/ ٨١.

(٣) الهوى: الحب، ومعنى (حقها لم يدفع) أن دلالة الدموع على الحب حق واضح، لا ينكر. الديوان: ٢/ ٢٢٨.

(٤) انظر شرح البيت بالموضع السابق.

(٥) الإقواء: هو اختلاف حركة المجرى بكسر وضم، وهو عيب من عيوب القافية.

يَـــا قَلـــبُ مَالَـــكَ لاَ تُفِيـــقُ مِـــنَ الهَـــوَى؟ يَـــا قَلـــبُ مَالَـــكَ؟[1]

إذ جعل قلبه -وهو المخاطَب- في مكان بعيد، أو كأنه لا يعرف أين قلبه الذي عشق[2].

وقد يكون نداؤه للقريب باستخدام "يا" تأكيدًا للمعنى وتقوية له، ودليل ذلك تكرار كل من النداء "يا قلب" والاستفهام "مالك" في عَجُز البيت.

ونخلص إلى أن "يا" حرف موضوع لنداء البعيد حقيقةً أو حكمًا، وقد ينادى بها القريب توكيدًا، وقيل هي مشتركة بين القريب والبعيد[3].

ويبدو جليًّا من دراسة ظاهرة التناوب بين الحروف في صورها المختلفة كيف أن إحلال حرف محل حرف آخر يؤدي إلى جلب معنيين في السياق: المعنى المفهوم من وجود الحرف المذكور، والمعنى المتخيل بافتراض الحرف المنتظر.

ثالثًا: الحروف الثلاثية البناء:

(١) إلى:

أ - ورود "إلى" بمعنى "في " الظرفية:

يقول:

فَقَـــدْ تَرَكَتْنِـــي سَـــاهِيَ العَقْـــلِ سَـــادِرًا إلى الغـــيِّ لاَ عَقْـــدٌ لَـــدَيَّ وَلاَ حَـــلُّ[4]

أي أن السَّدَر -وهو التحير- سيسير به إلى طريق الغي -أي الضلال .. أو أنها -أي عيون الحسان- قد تركته حائرًا في الغي.

ب - ورود "إلى" بمعنى "اللام" الجارة:

يقول:

فَمَـــنْ إلى مَلْجَـــأ الضَّـــعيفِ إذَا أقْبَـــلَ لَيْـــلٌ وأطبقـــتْ ظُلَمُـــهْ[5]

---

(١) تفيق: تنتبه. الديوان: ٢/ ٣٧٥. وقد ورد البيت في موضع آخر بالديوان: ٣/ ٢٥٤.

(٢) انظر شرح البيت بالموضعين السابقين.

(٣) مغني اللبيب: ٢/ ٤١.

(٤) تركتني: أي عيون الحسان. وساهي العقل: ذاهب العقل. وسادر: متحيِّر تائه. والغي: الغواية والضلال. الديوان: ٣/ ٤٤.

(٥) ملجأ الضعيف: حمايته. وأطبقت ظلمات الليل: كثرت. الديوان: ٣/ ٤١٨.

فثمة معنيان: الأول: "فمن يندب" أو يسارع إلى إعانة الضعيف. وإجارته؟"[1]، والثاني: "فمن يُرتجي لحماية الضعيف؟"[2].

(٢) "أَمَا":

ورود "أَمَا" بمعنى: أَلَا" الاستفتاحية:

يقول:

أمـــا وَهِـــلَالٍ فِي دُجُنَّـــةِ طُـــرَّةٍ يَلُـــوحُ وَدُرٍّ فِي عَقِيـــقِ مَبَاسِـــم

لَقَـــدْ أَوْدَعَ البَـــيْنُ المُشِـــتُّ بمُهْجَتِـــي نَـــدوبًا، كـــأُثر الوَشْـــم مِـــنْ كَـــفِّ واشِـــم[3]

فـ "أَمَا" حرف استفتاح بمعنى "أَلَا"، وهو يأتي بهذا المعنى ويكثر قبل القَسَم[4].

(٣) على:

أ - ورود "على" بمعنى "لام" التعليل:

يقول:

مَضَـــى وأَقَمْنَـــا بَعْـــدَهُ فَي مَـــأتَم عَـــلَى الفَضْـــل نَبْكِيـــه بـــأَحْمَرَ قَـــانِي[5]

والمعنى على وجود "عَلَى": أن المأتم قد أقيم على الفقيد وهو الفضل، وعلى تقدير "اللام" أن حزننا -على المرثي- كان لفضله وإحسانه[6].

ب - ورود "على" بمعنى "مع":

يقول:

---

(١) انظر شرح البيت بالموضع السابق.

(٢) انظر شرح البيت بالموضع السابق.

(٣) أما: حرف استفتاح. والواو: قسم: ويقصد بالهلال هنا القمر، ويريد به وجه المحبوبة. والدجنة: الظلمة. والطرة: الناصية، وهي شعر مقدم الرأس . و(دجنة الطرة): سواد شعر المحبوبة. والدر: اللؤلؤ، ويراد به أسنان الحبيبة. والعقيق: حجر نفيس. ومباسم: جمع مَبْسِم، وهو الثغر، ويريد بالمباسم: الشفاه. والندوب: آثار الجروح. الديوان: ٣/ ٢٨٤، ٢٨٥.

(٤) انظر شرح البيت بالموضع السابق، ومغنى اللبيب: ١/ ٥٢.

(٥) أحمر قاني (تخفيف قانئ): دم شديد الحمرة. الديوان: ٤/ ٩٩.

(٦) انظر شرح البيت بالموضع السابق.

أَصْـبُو إِلَيْهَـا عَـلَى بُعْـدٍ، وَيُعْجِبُنِـي أَنِّي أَعِـيشُ بِهَـا فِي ثَـوْبِ إِمـلاقِ[1]

أي اصبو إلى روضة النيل على البُعْد .. أو أصبو إليها على الرغم من بُعدي عنها[2]. فالمعنيان يختلفان من حيث إن في الثاني مفارقة.

جـ - ورود "عَلَى" معنى "الباء" الجارة:

يقول:

أَتزْعُمُنـي خِـلاًّ وَتَهْجُـرُ سَـاحَتي عَـلَى غَـيْرِ ذَنْـبٍ؟ إِنَّ ذَا لَعَجِيـبُ[3]

أي: وتهجر ساحتي غير معتمد أي ذنب .. أو تهجر ساحتي بغير ذنب ...

* * * * *

(١) أصبو: اشتاق. ويعجبني: يسرني. وإملاق: فقر. الديوان: ٢/ ٣٢٩.

(٢) انظر شرح البيت بالموضع السابق.

(٣) تزعمني: تظنني. والخل: الصديق. وساحتي: مجلسي. الديوان: ١/ ١٢٣.

النتائج

يمكن إيجاز النتائج العامة المستخلصة من التناوب فيما يلي:

١ – أن استبدال فعل بفعل آخر، أو إحلال فعل محل غيره يؤدي إلى توسيع المعنى وإثرائه من حيث إن هذا الإحلال يجعل الفعلين مصطحبين، ومن ثم يصطحب المعنيان.

٢ – أن العلاقة بين الفعلين – الوارد والمنوب عنه – قد تصل إلى حد الترادف في الاستعمال، وقد تكون هذه العلاقة سببية، أي: أن أحد الفعلين مسبب للآخر، كما في الفعلين ""أشتاقُ" و "أُحبُّ" فالحب مسبب للشوق. وقد ترجع هذه العلاقة إلى اشتراكهما في الدلالة كما في "استقاد" و "بَادَلَ"، فالقَودُ هو قتل النفس بالنفس، والمبادلة تعني أخذ شيء مكان غيره، ومن هنا يشترك الفعلان في الدلالة على معنى التعويض. وقد تنشأ هذه العلاقة من الارتباط المثالي بين الفعلين، ويُقصد به ما ينجر عن أحدهما من معانٍ ليست بالضرورة واقعة، وإنما وقوعها مفترض، ومثال ذلك الفعلان: "قرأ" و "فهم"، فليس ضروريا أن يتبع الفهمُ عمليةَ القراءة، لكن يُفترض أن يقترن بها.

وقد يكون بين الفعلين ارتباط عكسي، أي أن أحدهما عكس الآخر كما في "ترى" و"تسمع"، كما قد يجمع بينهما الارتباطُ الجزئي، أي أن يكون أحد الفعلين من معاني الفعل الآخر، كما في الفعلين "قَطَعَ" و "شلَّ"، إذ القطع أحد معاني الشلل.

٣ – أن التناوب بين الأسماء يُبرز إلى حد كبير ارتباط الشاعر الوثيق بالتراث الشعري القديم، ويُظهر ثقافته العربية الأصلية، إذ إن الألفاظ الواردة في هذه الظاهرة مستمدة من البيئة البدوية في كثير من المواضع، ومن ثم فهي تعكس تأثره بالموروثات القديمة وتبين محاكاته للقدماء، في الوقت الذي لم يغفل بعض مظاهر الحياة العصرية.

٤ – أن العلاقة بين الألفاظ الواردة والأخرى المنوب عنها قد تكون علاقة مكانية، بمعنى أن اسم المكان يَرِدُ بمعنى الاسم ذاته، وقد يكون اللفظ المذكور أكثر دلالة

على المعنى المراد من مثيله المنوب عنه، كما قد تكون العلاقة بين اللفظين راجعة إلى اشتراكهما معًا في الدلالة، وأحيانا يصبح اللجوء إلى لفظ بعينه بدلًا من لفظ آخر ضرورة لتحقيق التجانس في السياق والمزاوجة بين صدر البيت وعَجُزه.

٥ - أما في المصادر فالتناوب بينهما إما أن ينبع من وجود علاقة بين ما هو مذكور ونظيره المنوب عنه، أو أن المصدر الوارد أكثر دلالة على ما هو مقصود من حيث إنه يضيف إلى السياق دلالات جديدة، وقد تصل العلاقة بين المصدرين إلى حد الترادف بينهما في الاستعمال. أما إحلال المصدر محل الصفة فيأتي للمبالغة والتأكيد.

٦ - أن التناوب بين الحروف يعني إضافة معنى آخر إلى المعنى المفترَض بوجود الحرف المقصود، أي إن إبدال "حرف بحرف لا ينجر عنه تعويضُ معنى بمعنى، بل إرداف معنى بمعنى، فإن حضور معنى الحرف المحذوف والذي كان ظهوره منتظرا هو بمنزلة حضور معنى الحرف المستعمل"[١].

* * * * *

(١) محمد الهادي الطرابلسي: خصائص الأسلوب في الشوقيات. ص ٤٩٥، ٤٩٦.